ذاكرة العراق

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

العدد (1780) السنة السابعة
الاثنين (26) نيسان 2010

12

قسم من رحلة
قريزر الى بغداد

الوثائق البريطانية ومؤامرات قتل عبد الكريم قاسم

حـــول زواج الرصـــافي وابنتـــه

رفعة عبد الرزاق محمد

لما للرصافي من مكانة كبيرة في اليقظة الفكرية العربية فأن البحث عن (حقيقة) الصورة من المواضيع الطريفة التي تتعلق بشاعرنا الكبير، الذي اصبح البحث عن احواله وجمع شوارده من الضرورات الوطنية والتاريخية.
×والذي نود تأكيده هنا ان جميع من كتب عن الرصافي من معاصريه لم يشر الى هذه (الابنة) المزعومة، مع اتفاقهم الثابت على زواجه في الاستانة على الوجه الذي تفصله السطور التالية..

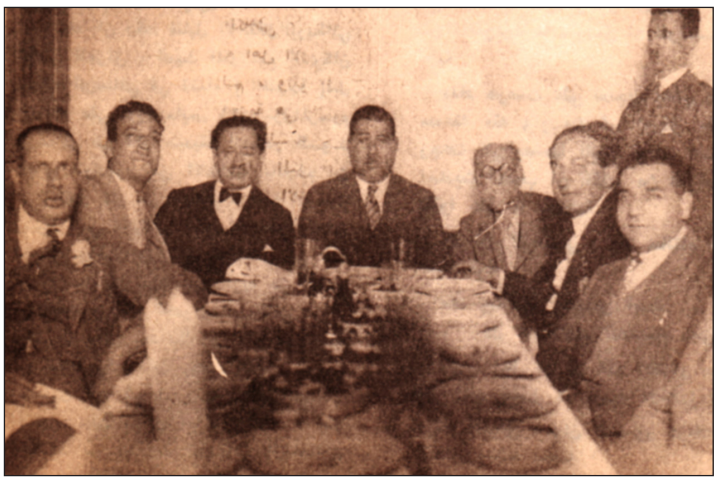

واعتمد في بيان ذلك على مصادر رئيسة ثلاثة لا اعتقد ان احدا يستطيع الطعن في شهادتها لما لهذه المصادر من صلة وثيقة بالرصافي، فعندما ظهرت طبعة عام ١٩٣١ من ديوان الرصافي بدا المرحوم عبد المسيح وزير بنشر سلسلة مقالات عن الشاعر في جريدة (الاستقلال) البغدادية، تضمنت معلومات مختلفة عنه، استقاها وزير من الشاعر نفسه مباشرة، ونشرها في حياته.. مما يدل على ان الرصافي اذن بنشرها والمصدر الثاني هو ما كتبه المرحوم مصطفى علي في كتابه (ادب الرصافي) المطبوع في القاهرة عام ١٩٤٧ وهو مجموعة ردوده على بدوي طبانة الذي الف كتابا عن الرصافي واشار فيه الى زواجه، اما مصدري الثالث فهو ما ذكره الاستاذ الفاضل عبد الحميد الرشودي، في كتابه القيم عن الرصافي والمطبوع ببغداد عام ١٩٨٨ ولانحتاج الى اثبات صلة مصطفى علي بالرصافي فهي معروفة وان الرشودي حاليا، هو الامين المؤتمن على تركة الرصافي الفكرية لاسباب كثيرة لامجال لعرضها..

×ان رواية زواج الرصافي.. المتفق عليها في هذه المصادر هي كما يلي: لما ذهب الرصافي الى الاستانة في المرة الثانية عام ١٩٠٩ ومكث فيها في الاعوام التالية، ارتفعت منزلته واصبح وجها بارزا فيها، بعد ان انتخب نائبا في (مجلس المبعوثان) عن المنتفك، ففوتح من قبل اصدقائه بقضية الزواج فرحب بها واوكل الى شقيقة صديقه (عبيد الله) ان تختار له الزوجة اللائقة به وبمقامه، فاختارت له السيدة (بلقيس) ابنة احد موظفي الكمارك في العاصمة العثمانية ويذكر الرصافي لعبد المسيح وزير انه وجد الهناء في حياته الزوجية اذ استقامت اموره وانتظمت معيشته بفضل زواجه، غير انها حملت منه ولداً سقط جنيناً ولم تلد له غيرة فظل بلا عقب الى النهاية.

×ويقول بدوي طبانة في كتابه عن الرصافي انه تزوج ثيبا من احدى نساء ازمير شقيقة ضابط متقاعد، دون ان يشير الى المصدر الذي اخذ عنه روايته.

ويذكر الاستاذ عبد الحميد الرشودي ان مصطفى علي اخبره انه رأى عدة رسائل موجهة الى الرصافي من زوجه.

وكانت موقعة بكلمة (بلقيسك) وان الرصافي كان يراسلها بوساطة اخيها الدكتور اكرم امين، وربما كان يرسل اليها بعض النقود وفاء لحق الزوجية.

بقي الرصافي في الاستانة الى اواخر عام ١٩١٩ ، حيث غادرها الى دمشق وحده، على امل ان يعود لزوجه او يطلب التحاقها به.. يذكر ان زمان البعاد قد طال بينهما وامد الفراق قد امتد ومرت على الرصافي ايام صعبة ومارس ليالي كالحة فلم تسعفه ذات يده بما يقيم اوده ولا بما يمد به زوجته ، وفي عام ١٩٢٢ هم الرصافي بالسفر من بغداد الى الاستانة.. لكنه لم يجد هناك احدا من معارفه، فبقي في الاستانة حوالي الثلاثة اشهر ثم عاد الى بيروت، ويبدو ان نية الرصافي كانت متوجهة الى زيارة زوجه التي اشتاق اليها ، غير انه لم يوفق الى نيل اجازة من وزارة المعارف وهو احد موظفيها ،وليتسلف رواتبه ليستعين بها في سفره لان القوانين يومئذ حالت دون ان يتمتع بهذا الحق.. وفي قصيدته الى المرحوم فخر الدين الجميل يشير الى اشتياقه لزوجه في الاستانة:

قد عاقني الاملاق عن سفري الى
من طال معتلجا اليه
حنيني
لكن قلبي مايزال بشوقه
ظبي اقام بدار قسطنطين

×وفي قصيدته (زحلة) يذكر الرصافي ان زوجه هي الاخرى كانت مشتاقة له، غير ان الرصافي عاد وترك الاستانة الى بيروت بعد ان استقال من وظيفته في بغداد و قطع الجسور مع السلطة لالقائه قصيدة (هي النفس) الشهيرة (!!) فرأت السيدة بلقيس –كما يذكر الرشودي – ان لا امل في عودة حياتهما ولا رجاء في استئناف الصلة فاستفادت من القانون المدني التركي الجديد وافترقت عن الرصافي.

واكاد اعتقد ان الرصافي ترك زوجه في الاستانة ثانية لسبب يتصل بنفسيته واعتزازه الشديد بكرامته، فحين غادر الاستانة كان مدركا ان يسير الى مصير غير معروف.. ترك بغداد على ألا لايعود اليها ثم ترك الاستانة وهو لايملك شيئا ولعله رأى بقاء زوجه بين اهلها صونا لها من تشرده، او انه اذن لها برفع قضية التفريق الذي تم في عام ١٩٢٥ وهو في بغداد (الاديب.. العدد الممتاز لعام ١٩٤٥).

وربما يذهب البعض الى ان الابنة (المزعومة) في الصورة جاءت عقب اتصال الرصافي بزوجه عند زيارته الاستانة في ١٩٢٢ ، الا ان ما تواتر عن عدم انجاب السيدة بلقيس، ينفي ذلك ولعل نشر الصورة والتثبت من تاريخها يكشف لنا الحقيقة.. والله قادر على كل شيء.

ان رواية زواج الرصافي.. المتفق عليها في هذه المصادر هي كما يلي: لما ذهب الرصافي الى الاستانة في المرة الثانية عام 1909 ومكث فيها في الاعوام التالية، ارتفعت منزلته واصبح وجها بارزا فيها، بعد ان انتخب نائبا في (مجلس المبعوثان) عن المنتفك ، ففوتح من قبل اصدقائه بقضية الزواج فرحب بها واوكل الى شقيقة صديقه (عبيد الله) ان تختار له الزوجة اللائقة به وبمقامه،

من اوراق الراحل امين المميز

جوانب مضيئة من حياة بغداد الخالدة..

(كهوة المميز) ملتقى عشاق المقام في القرن الماضي

جنازة رباز خرجت منها بعد احيائه حفلة ساهرة

كان البغداديون من هواة المقام العراقي والجالغي البغدادي يقصدون (كهوة المميز) الواقعة الى جوار المدرسة المستنصرية تسلسل ٦/٤ باب الاغا والمطلة على نهر دجلة والتي كثيرا ما ورد ذكرها وظهرت تصاويرها في كتب السواح والرحالة الاجانب والمؤلفين العراقيين والعرب.

كتب الرحالة الانكليزي "جيمس بكنكهام" الذي زار بغداد في اواخر القرن الماضي، عن المقاهي البغدادية يقول.. "وكان المقهى الذي يقع قرب المدرسة المستنصرية يبدو كأنه شعلة من نار على الجانب الشرقي من دجلة "كهوة المميز" واما المقهى الثانية وهي اكبر منه ويقع قبالته وبجوار الجسر العائم فانها تتقد بمصابيحها المتلألئة على الضفة الغربية". "ربما يقصد المؤلف كهوة البيروتي او الكهوة العكامة".

×ان شهرة كهوة المميز هذه (وهناك قهوة المميز الثانية الواقعة في جانب الكرخ والتي استملكت من وقف عادلة خاتون لغرض مقتربات جسر المأمون وكانت تعرف بالكهوة (المعلكة) لانها تقع في الطابق الثاني فوق سلسلة من الدكاكين ولها (بالقون) يشرف على نهر دجلة هي في موقعها الهادئ، المطل على دجلة وفي احياء ليالي الجالغي البغدادي، والمقام العراقي حيث كان يغني فيها اساطين قراء المقام والموسيقيون في ذلك الزمان، امثال احمد زيدان عميد المقام العراقي بلا منازع وشلتاغ وخليل رباز.

توفي خليل رباز في كهوة المميز بعد احيائه حفلة جالغي بغدادي ومقامات وتولى المعجبون به واصدقاؤه الصرف على تشييعه ودفنه) وحسن الشكرجي ونجم الديار ورحمين نفطار ويوسف حوريش وصالح شميل ويوسف بتو وابن رجوان وابن عيشة وجميل الاعظمي ابو ندر وغيرهم.. ولم يكن لرشيد القندرجي مكان في كهوة المميز حيث كان مكانه في كهوة الشابندر (التي ما زالت موجودة) المقابلة (للاكمكخانة) ومدخل سوق السراي والقشلة، كما ان ابو جاسم محمد الكبانجي ، كما كان يعرف يومئذ بين اصدقائه ومحبيه.. فقد كان يومئذ على عتبة سلم الشهرة وقبل ان يصعد الى اعلى السلم ويتربع على عرش المقام العراقي ولما كان سني يومئذ لايسمح لي بالتردد على هذه الكهوة فكنت اتسقط اخبار المقام وقرائه وموسيقييه ممن هم اكبر مني سناً.. وفي الاربعينيات والخمسينيات اصبحت كهوة المميز اشبه بمكتبة عامة او ناد ثقافي او منتدى ادبي منها بكهوة لشرب الشاي والقهوة وتدخين النركيلة.. حيث اتخذها طلاب المدارس والكليات مكانا للدراسة والتحضير للامتحانات ، فصارت تعرف بكهوة (صاحب) نسبة الى المستأجر عبد الصاحب محمد الذي استأجرها طوال عشرين عاما تقريبا.. وفي اوائل الستينيات استملكتها امانة العاصمة من وقف عادلة خاتون استملاكا فوريا وادخلتها ضمن (كورنيش المستنصرية) الذي جرى افتتاحه من قبل عبد الكريم قاسم

×ولما كانت كهوة المميز، قد استكملت من قبل امانة العاصمة، وحفظا للتراث البغدادي الاصيل الذي ترعاه الامانة المحترمة فمن الحق والانصاف ان تقوم الامانة نفسها وليس دائرة الاثار والتراث باعادة بنائها وجعلها منتدى للمقام العراقي والجالغي البغدادي وحسب، وانسب محل لذلك هي الجهة الجنوبية من ساحة القشلة الى جوار ساعة القشلة التاريخية وقد ينفذ سيادة امين بغداد المهندس طاهر محمد حسون هذا الاقتراح، وسيجزيه الله تعالى خير الجزاء ويسجل له تاريخ بغداد ذكرى جميلة، فان اعادة بناء هذه الكهوة وتجهيزها باللوازم المقتضاة كالتخوت الخشبية والنواركيل ودلال القهوة والسماورات والقواري وبوسائل التسلية والترفيه الجرئ كالمنقلة والطاولي والدومينة والشطرنج و (الفوتوغراف ذو الاسطوانات اللولبية) واحياء يانصيب (الدونبلة) (المسماة بينكو في الوقت الحاضر) كل ذلك سيجعلها المقهى الوحيد والفريد من نوعه في بغداد لانها ستستعمل صيفا وشتاء ليلا ونهارا صبحا ومساء.

عن مجلة الحضارة

الحاج امين المميز

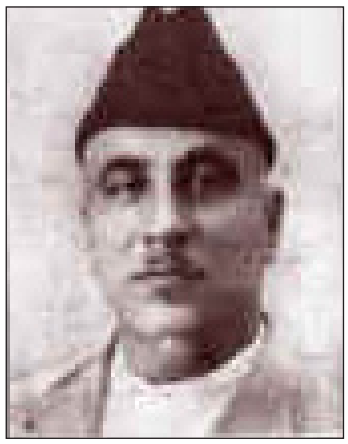
رشيد القندرجي

محمد القبانجي

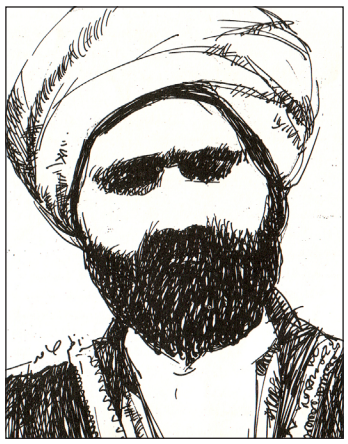
احمد زيدان

اخبار صحفية عمرها تسعون عاماً

هذه اخبار قديمة ننشرها بنفس اسلوبها واخطائها كذلك.

طلب موسيقيين

×يطلب ستة موسيقيين اثنان يعزفان بالكلارنت وواحد يعزف بالكورنيت وواحد بالالتو وواحد بالباص (مبيمول) وواحد يعزف بالترنيون.
للحصول على الايضاحات راجعوا جون فرنندس قبالة مطعم الاهالي قرب جسر مود في بغداد.

جريدة العراق
٩ حزيران ١٩٢٠

نظارة المعارف
مخزن الكتب

×قد فتح في دائرة المعارف في بيت دله بشارع النهر مخزن لبيع الكتب للعموم، وقد وردت اليه في الايام الاخيرة ارسالية من الكتب العربية من مصر وهي معروضة الان للبيع في المخزن المذكور.
وينتظر قريبا وصول ارسالية اخرى من بيروت، وسيكون المخزن مفتوحا كل يوم في الاوقات الاتية: (عدا يومي الجمعة والاحد من كل اسبوع).
من ٨-٣٠ الى ١٠ صباحا زوالية.
ومن ٥-٣٠ الى ٧ مساءزوالية

جريدة العراق
٦ تموز ١٩٢٠

نظارة المعارف
فتح مدرسة ثانوية للذكور في بغداد

×ان نظارة المعارف قد عزمت على فتح مدرسة ثانوية في بغداد في اليوم الـ ١١ من شهر ايلول القادم وقد خصص لها بناء مدرسة التجارة الواقع امام المحفل العسكري السابق اما منهاج هذه المدرسة فيحتوي على الدروس الدينية واللغة العربية والانكليزية والرياضيات (الحساب والجبر والهندسة والمثلثات) والتاريخ والجغرافية والرسوم والعلوم الطبيعية والاشغال اليدوية وتمارين الرياضة البدنية وغيرها من العلوم الحديثة..وسيكون التدريس فيها باللغة العربية.
وتعطل المدرسة في ايام الاعياد المعتادة وفي يوم الخميس بعد الظهر ويوم الجمعة من كل اسبوع...
وقد تقرر ان يؤخذ من كل طالب اجرة شهرية قدرها ربية واحدة وسيعفى من هذه الاجرة الطالب الذي يثبت عدم استطاعته اداءها لفقر حاله.
ويشرط على من يرغب الدخول في هذه المدرسة ان يشترك في امتحان الدخول الذي سيجري في اليوم الخامس من شهر ايلول ولايستثنى من هذا الامتحان الا الناجحين في امتحان الصفوف الرابعة الابتدائية من المدارس الرسمية.
فعلى الراغب ان يقدم الى نظارة المعارف في بغداد ورقة تحتوي التفاصيل الاتية قبل اليوم الاول من شهر ايلول ١٩٢٠.
١-اسمه ولقبه مع اسم ابيه.
٢-اسم المدرسة التي درس فيها.
٣-عمره.
٤-دينه.
يمكن الاطلاع على ايضاحات اخرى عند مراجعة نظارة المعارف في شارع النهر ببغداد.
جريدة العراق
٢٤ اب ١٩٢٠

افتتاح السنة الجديدة لمدرسة الحقوق

×فتحت مدرسة الحقوق ابوابها اليوم ورحبت بطلابها القدماء والحديثين مبتدئة سنتها الجديدة..
وقد اتصل بنا ان انه اضيف الى برنامجها دروس جديدة لم يكن لها اثر في برنامج مدرسة الحقوق في عهد الاتراك، واقتضى لذلك زيادة عدد غير قليل الى حضرات اساتذتها.
اما عدد الطلاب الذين قبلوا فيها هذه السنة فيزيد على الخمسين طالبا فندعو لها باطراد التقدم والنجاح.
جريدة العراق
١٣ايلول ١٩٢٠

جريدة العراق
1979/8/20

ذكريات (ايام زمان)

أول مرة . . محاولتان فاشلتان لاغتيال بكر صدقي

الاولى على مائدة السفير الاميركي والثانية وهو في طريقه الى البلاط

جميل المدفعي

حكمة سليمان

بكر صدقي

مصطفى علي

لم يكن مستغربا ما اورده المرحوم مصطفى علي في بعض يومياته انه شاهد الفريق بكر صدقي قائد الانقلاب المعروف قبل سفره الى تركيا ومنها الى المانيا وهو في حالة من يستشعر بدنو اجله، وانه كان يبتسم لمودعيه في السفر ابتسامة من لايؤمل العودة الى الوطن وهو على قيد الحياة)!

لم يكن غريبا ان يبدو الفريق في مثل الحالة التي وصفها الاستاذ مصطفى علي لان هذه الحالة هي الطبيعية بالنسبة لكل من يعتمد على السلاح في تحقيق اهدافه التي يؤمن بها،ولهذا فليس هناك من جناح على الثوار الوطنيين في ان يحتاطوا لما قد يتعرضوا له من خصومهم الذين ثاروا عليهم ، والواقع ان بكر صدقي كان محقا في حذره، ولكن استشعاره بدنو اجله خلال السفرة التي كان يزمع القيام بها الى خارج البلد، وهو الامر الذي يدعو الى الالتفات لانها قد تعبر عن هاجس من الهواجس التي لم يفت على علماء النفس الحديث عنها فيما تناولوه من مباحث سبروا فيها اغوار نفوس العديد من الشخصيات العالمية التي كانت تتوقع الاحداث التي سيتعرضون لها في وقت قريب!

ولقد ترددت اشاعات وهمسات عن احتمال تعرض الفريق بكر صدقي او اعوانه الى الاغتيال من اعوان الوزارة الهاشمية التي اطاح بها انقلابه او من ذوي الاشخاص الذين تم اغتيالهم او تشريدهم خشية معارضتهم الحكم الذي جاء به الانقلاب والذي وصفه النائب الشيخ محمد باقر الشبيبي بأنه (يفتقد الوجه القومي) واصراره على ذلك بالرغم من ان النائب صادق كمونه وهو من اقطاب جمعية الاصلاح الشعبي..قد اكد الوجه القومي لوزارة حكمة سليمان من خلال عقدها سلسلة من المعاهدات والاتفاقيات مع البلدان العربية، وان الوزارة المذكورة كانت السباقة الى جذب اليمن للانخراط في العمل العربي المشترك!

اقول ان تعرض بكر صدقي واعوانه للاغتيال كان محتملا لكثرة الخصوم ولكونه الرد الفعلي للعمل الذي قاموا به،بل ان مثل هذه المحاولات قد وقعت ولكنها لم تسفر عن تحقيق الهدف المقصود منها، ولقد اورد المرحوم الشيخ عبود الهيمص في كتابه المخطوط (ذكريات وخواطر عن احداث عراقية في الماضي القريب) بعض ما لم ينشر من احاديثه مع قادة الانقلاب غداة زياراته لهم مع الوفد (الحلي) المؤلف لتهنئتهم بالانقلاب بايعاز من متصرف الحلة احمد زكي الخياط ما يضيف الى تاريخ العراق السياسي الحديث ، فصولا جديدة لايستغنى عنها نحتزئ منها ما يخص توقع بطل الانقلاب تعرضه للاغتيال...

يقول الشيخ الهيمص (وبعد مدة سمعنا ان بعض الضباط يتآمر ضد بكر صدقي ويحاولون قتله وانهم دبروا محاولة لاغتياله في وليمة كان مقررا ان يحضرها لدى السفير الاميركي...ولم تحدث هذه المؤامرة بالرغم من حضور بكر صدقي، وقيل في حينه ان المرحوم جميل المدفعي كان يعلم بتفاصيل المحاولة المقررة، ولكنه حذر القائمين من خطر قيامهم بها في سفارة اجنبية وفي وليمة يحضرها عدد من سفراء وممثلي الدول الاجنبية الاخرى، وربما ترتب على القيام بها نتائج خطرة على البلاد).

وقد سمعت من المرحوم حكمة سليمان ان بكر صدقي كان يخشى من تعرضه للاغتيال من بعض عملاء الدول الاجنبية، ولهذا لم يكن ليحرص على حضور الحفلات التي تقام له في بعض السفارات الا بعد ان الح عليه وقدم له التأكيدات المبددة لهواجسه..ويبدو ان توجسه كان في محله بدليل ما ذكره الشيخ الهيمص من المؤامرة التي كانت تحاك لاغتياله في السفارة الاميركية!

ونعود الى مذكرات الشيخ الهيمص فنجد فيها قوله (وبلغنا ان بعض الضباط كمنوا لبكر في اليوم الاسبوعي المقرر لذهابه الى البلاط ولكن بكر صدقي لم يسر في الطريق التي اعتاد ان يسلكها في ذهابه وايابه الى البلاط في ذلك اليوم لمحض المصادفة او لسماعه باخبار هذه المحاولة)...ويضيف (ولم تكن هاتان المحاولتان هما كل ما دبر من محاولات لقتله نظرا لان الكثير من العناصر القومية كانت تعمل ضد بكر صدقي لاعتقادها بانه كان يعمل للقضية الكردية ويتجه بالحكم اتجاه مصطفى كمال في تركيا فضلا عن استهجانهم لتصرفاته في (الاوتيلات) هو واعوانه من سيئي السلوك والتصرف بمن قبلت عنهم اقاويل سيئة كثيرة ولاعتداءاتهم على الناس بمختلف الاساليب.. وبمنتهى الاستهتار وهذا كله مما زاد النقمة على بكر صدقي..واعوانه حتى كانت حادثة اغتياله في طريق ذهابه الى تركيا على النحو المفصل مما نشر في الكتب والمذكرات.

جريدة البلد 1965

البغداديون قديماً

اكـــــلـــــك مـــــنـــــافـــــع يـــاكـــبر

البغداديون في مجالس الانس والغناء -المقام العراقي الذي كان يغني بالمقاهي ومزارع الباقلاء -كيف كانوا يستعيضون عن العنصر النسائي بـ (الشعارين) ومتى دخل هذا العنصر حياة بغداد؟ ولعل خير ما ينير لنا السبيل الى تفهم الحالة الاجتماعية التي كانت تسود ذلك العهد هو الوقوف مليا عند مجالس الانس والطرب، فقد عرف البغداديون القدماء بجنوحهم الشديد نحو الطرب وتذوقهم للغناء ولاشك انهم قد توارثوا ذلك عن اسلافهم منذ قديم الزمن.

كانت بغداد قبل اربعين عاما خالية من ملاهي الطرب التي نرتادها اليوم فنمتع انفسنا بالسماع الى ما تغنيه المغنيات ومشاهدة الراقصات وهن يؤدين رقصاتهن بابداع او بغير ابداع، ولكن اسلافنا لم يتيسر لهم ذلك، لان الطابع الديني هو الذي كان يصبغ الحياة الاجتماعية ، فلا مجال الى اقامة الملاهي أو (الكباريهات ويقول صديقنا الاستاذ عبد الكريم العلاف في كتابه (بغداد القيدة ان ليالي الانس والطرب كانت تحيا على ضفاف نهر دجلة او في الزوارق حيث يلتئم عقد الاصحاب والخلان ليتنادموا فيما بينهم ومن اشهر الارباض التي تعشقها البغداديون القدماء "الكلوريه" ومكانهم معروف اليوم في كردة مريم، و(الجزيرة) وما فتئت هذه الجزيرة منتجعا للبغداديين اليوم، يؤمها الشباب والفتيات للسباحة واقامة (الجراديغ) على ضفافها ، فهي بحق مصيف طبيعي طيب، ثم مزارع الباقلاء على طريق الاعظمية، فقد كان يرتادها بموسمها عشاق اللهو والمتعودون على احتساء الخمر ذلك لان بغداد في ذلك العهد لم تعرف سبيل (الحانات) فكان الخمارون يتناولونها قبل موسم الباقلاء في بعض البيوت اليهودية او المسيحية في محلتي ابي سيفين وسوق الغزل وهي على كل حال مرطبة ومظلمة ومفسدة، للذوق فاذا ما ازدهرت اغصان الباقلاء خفوا اليها خفا وانتشروا في جوانبها ، وادق وصف يمكن ان نذكره على ذلك ما جاء في (البسته) البغدادية الشهيرة.

(فتح ورد الباجلة... يبزى كدر ومذله)

ويعني ذلك ان طلاب الأنس في تلك البيوت المظلمة المرطبة هو عبث وفيه تكدير للصفو واذلال للنفس ودعوة صريحة الى انتهاز فرصة الربيع والانتجاع في مزارع الباقلاء، وهكذا عرف البغداديون مجالس الانس والطرب.

واذا كانت بغداد لم تعرف في ذلك العهد حياة الملاهي والكباريهات فأنها لم تعدم الوسيلة لاقامة المحلات العامة في المقاهي حيث تقام حفلات الى تفهم الحالة الاجتماعية التي يكون الوقوف مليا عند مجالس البغداديين القدماء بجنوحهم للغناء ولاشك انهم قد توارثوا الزمن.

الغناء العراقي الصميم من قبل مغنيين محترفين يجيدون غناء المقام العراقي على انغام (جالغي بغداد) الذي سنفرد له بحثا خاصا، ومن اشهر من غنى المقام العراقي في ذلك العهد المرحوم احمد زيدان، وحسن الشكرجي، والسيد جميل ورشيد القندرجي، ونجم الدين الشيخلي ومحمد القبانجي وغيرهم.. فكان اذا اجتمع هواة الطرب في تلك المقاهي والتم عقدهم شرع المغني بالغناء مبتدئاً بمقام البيات فالنادري فالطاهر فحجز ديوان والقوريات والرست والمنصوري والجبوري والشرقي والحسيني والدشت والحكيمي والبنجكاه ...الخ وكان من عادتهم كلما انتهوا من غناء احد المقامات بدأوا بغناء (البستة) ومن اشهر البستات التي غنت في (جالغي بغداد) ذلك العهد: (لابس ضريبي وحول خيال الشكرة وكمرة زهية) ولا اظن ان اسطوانات هذه البستات موجودة فوق رفوف صديقنا الاستاذ عبد الحميد الدروبي والا لشنف اسماعنا بشيء منها، وسنفرد لـ (البستة)

البغدادية فصلا خاصا ايضا.

ومن اشهر ما عرف من المقاهي التي كان يغني فيها المقام العراقي (مقهى المميز) في راس الجسر و (مقهى سبع) في الميدان ومقهى القيصرية في شارع البنك وغيرها من المقاهي وفي عام ١٩٠٧ عرفت بغداد حياة الملاهي اذ اقدم بعضهم على تأسيس الملاهي ولما كان الحجاب هو الذي كان يميز حياة المرأة البغدادية انذاك فلم تعرف تلك الملاهي الراقصات او المغنيات، بل يستعاض عن ذلك بالغلمان الذين كانوا يرتدون الالبسة النسوية ويقومون بادوار الرقص والغناء على –الشانو– والواحد من هؤلاء الغلمان كان يسمى بـ (الشعار) وقد كان الشعارون يحضرون في حفلات الاعراس او المناسبات السارة الاخرى كختان الاولاد ويقومون بالرقص على ضربات الموسيقى البلدي المزيفة او الطبل والمزمار، وبتوالي الايام دخل العنصر النسوي في مسارح بغداد وقد استوردهن من حلب لهذا الغرض المرحوم حسن صفو وهو اول من اسس (التياترو) في بغداد قد بقي حيا حتى كثيرون توفي معظمهم و لكن الرمز الحقيقي لحياة التياتروات في بغداد قد بقي حيا حتى الان وهو صالح بيجه الذي اسهم في تأسيس عدد كبير من الصالات والكباريهات..وان البغداديين الذين امتزج الطرب في دمائهم كانوا يتهافتون على ارتياد هذه المحلات وكانوا يشاركون (الجالغي) في الغناء باصوات خفيضة ويتأوهون لذكر احبابهم كلما سمعوا مقطعا جميلا او غناء شجيا وليس ادل على ولعهم بالغناء ما ينادي به الباعة على بضاعتهم شعرا عذبا وغناء شجيا فبائع التفاح مثلا كان ينادي على تفاحه (تفاح العجم خدك ياعجمي) وبائع الكبر وهو نوع من النباتات كانت منتشرة الاستعمال لشفاء بعض الامراض فهو ينادي على بضاعته بقوله (اكلك منافع يا كبر يمتن الزنود ويحمر الخدود اكلك منافع يا كبر الى غير ذلك..

جريدة العهد الجديد
والصادرة بتاريخ 1960/12/25

قبل 57 عاما

ريه وسكينة تثيران الرعب في بغداد

وحيد الشاهري

ريه وسكينة في المسرحية والمسلسل

في بداية عام ١٩٢٢ عاشت اسكندرية مصر في جو مرعب ومخيف نتيجة اختفاء عدد من نساء المدينة الميسورات.. في ظروف غامضة استعصى ولفترة مذهلة ، حل لغزها على رجال الامن الذين كانوا يواصلون الليل بالنهار في محاولات للكشف عن هذا اللغز الذي ظل يحوم برعبه في اجواء بالاسكندرية وظلت الاسكندرية كلها وليس هذا الحي وحده، تعيش جو رعب واسرار واشاعات ونساء يختفين في ظروف غامضة.. ولا من حل.. ولعدة سنين..الى ان جاء اليوم الذي رفع فيه الستار ليكشف عن هذا السر الغامض...!

×وتفصيل ذلك ان فتاة حسناء كانت على صلة بضابط بوليس شاب لايطيق غيابها.. وحين غابت ذات يوم عن لقائه ظل قلقا عليها وسط ذلك الجو المشحون بالخوف.. والاخبار المرعبة التي يتناقلها اهل الاسكندرية عن الاختفاءات المفاجئة لنساء ميسورات في حي (اللبان)..

وطال غياب الفتاة.. وزاد قلق ضابط الامن.. فقرر ان يبحث عنها بنفسه.. وبجهود خاصة..!

×وكان كلما دخل او خرج من قسم البوليس الذي يعمل فيه يرافقه منذ مدة طويلة.. واثناء لقاءاته مع فتاته ايضا.. كان يلاحظ ان كلبه هذا يتوقف امام دار تجاور القسم البوليسي الذي يعمل فيه..!!

فساوره الشك في ان فتاته الحسناء (فردوس) تختفي داخل هذه الدار... وذات يوم تنكر واستطاع ان يدخل الدار المذكورة ..فقوي عنده الشك.. فاستعان بقوة من رجال البوليس واقتحموا ...وفتشوا ..فوجدوا ان في الدار قبوا (سرداب) كانت تنبعث منه رائحة كريهة.. وحين دخلوا ذلك القبو واناروه...رأوا منظرا مرعبا تمثل في امرأتين ورجلين يقفون امام جثث عدد من النساء وكانت جثة فتاة ضابط البوليس احدى هذه الجثث..

×وتم اعتقال المرأتين والرجلين..

واثناء التحقيق والمحاكمة عرفت قصة المرأتين (ريه وسكينة) وزوجيهما.. (حسب الله وعبد العال) الذين اتفقوا على اصطياد النساء بحيل متنوعة – وخاصة تلك اللواتي يتحلين بالحلي ذات القيمة العالية وذلك من خلال تحركهم في سوقي (الصاغة والاقمشة) واستدراج الضحية الى ذلك الدار المجاور لقسم البوليس في (حي اللبان) فتتم عملية التخدير والاغتصاب وتجريد الضحية من حليها – ثم رميها داخل ذلك (القبو)!

×وفي بداية النصف الثاني من نفس العام ١٩٢٢ وفي مقهى من مقاهي الاسكندرية – وكان ملتقى الادباء والشعراء والفنانين –في ذلك المقهى دلس اثنان من رواده.. وهما (بديع خيري ونجيب الريحاني) ووضعا امامهما على الطاولة جريدة كان قد نشر فيها الصحفي الاسكندراني (لطفي عثمان) تفاصيل بداية ونهاية عصابة (ريه وسكينة) والمحاكمة التي جرت في (محكمة جنايات الاسكندرية) وادانة هذه العصابة والحكم على جميع افرادها – المرأتين وزوجيهما – بالاعدام ونفذ الحكم- وقيل في حينها بأنه لم تعدم امرأة في المحكمة المصرية قبل (ريه وسكينة)...؟

×وراح الاثنان.. بديع ونجيب يحولان ما كتبه الصحفي لطفي عثمان الى مسرحية عنوانها ريه وسكينة بما عرف عن بديع والريحاني من الطابع الكوميدي الساخر.. وفي اواخر عام ١٩٢٢ قدمت فرقة نجيب الريحاني- كما جاء في مذكرات الفنان الراحل جورج ابيض- مسرحية ريه وسكينة ومثلت فيها (دولت ابيض) دور (فردوس) صاحبة ضابط البوليس..

ونالت هذه المسرحية –كما يقول جورج ابيض في مذكراته –نجاحا كبيرا بسبب واقعية الرواية وسخرية المعالجة.

×وفي اواخر عام ١٩٥٢ جلس ثلاثة في احد المكاتب الفنية في القاهرة وهم نجيب محفوظ وصلاح ابو سيف وسيد بدير، ووضعوا امامهم على الطاولة جريدة مصرية عمرها ٣٠ عاما وهي الجريدة نفسها التي كتب فيها الصحفي لطفي عثمان بداية ونهاية ومحاكمة عصابة ريه وسكينة وكان من نتيجة هذا الاجتماع الثلاثي ان كتب نجيب محفوظ وصلاح ابو سيف سيناريو لفيلم اسمه ريه وسكينة وعهدا لسيد بدير بكتابة الحوار: وهكذا ظهر في بداية عام ١٩٥٣ فيلم ريه و سكينة، من اخراج صلاح ابو سيف وتمثيل (نجمة ابراهيم –ريه) و(زوزو حمدي الحكيم –سكينة) و(رياض القصبجي – بدور عبد العال) و(سعيد خليل – حسب الله) ومثل الضحايا (سميرة احمد وبرلنتي عبد الحميد ورجاء توفيق) والضحية الاخيرة (فردوس) مثلته زينات علوي ومثل انور وجدي دور ضابط البوليس واشترك في الفيلم ايضا فريد شوقي وشكري سرحان..

×وفي صيف عام ١٩٥٣ انتشر الرعب في بغداد..وكان مصدره سينما الهلال الصيفي مكانها الان سينما الرصافي الشتوي –في الباب الشرقي حين عرضت فيلم (ريه وسكينة) اعلنت (الشيتات) والاعلانات عنه في الصحف البغدادية تحذر الاحداث واصحاب القلوب الضعيفة من مشاهدي هذا الفيلم الواقعي خوفا عليهم بالاضافة الى الاحاديث التي تروى من قبل مشاهدي الفيلم الى عوائلهم ومعارفهم عن احداثه وما تتركه هذه الاحاديث من اثار مخيفة.

×ومن الطريف ان هناك فيلما اخر فيلم (ريه وسكينة) كان يعرض نهارا في سينما ميامي.. الشتوي اسمه (خانق الاطفال) احدث هو الاخر رعبا بين الاسر التي شاهدته، وكان هذا الفيلم الاجنبي يتحدث عن شخص مريض نفسيا يستدرج الاطفال عند خروجهم او دخولهم.. من والى مدارسهم ويغريهم ببعض الحلوى واللعب ويأتي بهم الى قبو (سرداب) يسكنه في احدى البنايات فيقوم بخنقهم ودفنهم في القبو، وكانت سينما ميامي، الشتوي تقع في الباب الشرقي، وامام سينما ميامي الشتوي الصيفي بالضبط في الساحة التي يشغلها الان مجمع منشأة نقل الركاب –فتزامن رعب النهار بخنق الاطفال مع رعب الليل بخنق النساء..

×في عام ١٩٥٤ اقدم حماده عبد الوهاب على اخراج فيلم كتب السناريو له (ابو السعود الابياري) مزج فيه الرعب بالكوميدي..واسمه اسماعيل ياسين يقابل ريه وسكينة ، يلعب اسماعيل ياسين فيه دور ابله يستطيع من خلال ملابسات كوميدية اكتشاف العصابة وقد مثل العصابة نفس ممثلي فيلم صلاح ابو سيف، واشترك معهم ايضا (عبد المنعم اسماعيل وعبد الفتاح القصري وثريا حلمي وثريا فخري) وحتى يكون جو الرعب مطابقا للفيلم الاول.. اختير المخرج صلاح ابو سيف مشرفا فنيا لهذا الفيلم، الا ان الطابع الكوميدي تغلب على الجريمة فكان كأي فيلم من افلام اسماعيل ياسين المعروفة لدى مشاهدي افلام الخمسينيات.

×وفي عام ١٩٥٥ أسست الفنانة نجمة ابراهيم فرقة مسرحية كان اول عمل لها مسرحية السفاحة ريه ، كتبها واخرجها زوجها الفنان عباس يونس ، الا ان المسرحية لم تنج لاسباب فنية قد تعود الى صياغة النص الذي تناول شخصية ريه وحدها.. او الى الاخراج..

وهكذا ظلت احداث جريمة (ريه وسكينة) تراود افكارا كثيرة لغرض انتاجها في عمل فني جديد..

وفي بداية الثمانينيات كتبها نصا مسرحيا جديدا الكاتب المسرحي (بهجت قمر) حيث قام المخرج حسين كمال باخراج هذا النص الجديد (ريه وسكينة) لحساب (فرقة الفنانين المتحدين) ومثلت فيه (شادية –ريه) و(سهير البابلي –سكينة) و(عبد المنعم المدبولي –حسب الله) وتناوب كل من حمدي احمد واحمد بدير على دور (عبد العال).

×واستطاعت مسرحية (ريه وسكينة) بشكلها المسرحي الجديد ان تنال نجاحا كبيرا لاكثر من عامين، وقد قدمها تلفزيون بغداد اكثر من اربع مرات، ومن الملاحظ ان جرائم ريه وسكينة لم تنس بعد بدليل ان بعض السينمائيين يحاولون ان يقدموها فيلما جديدا –وفعلا فقد اقدم المنتج حسين السعداوي على انتاج فيلم جديد عن ريه وسكينة وعهد باخراجه الى احمد فؤاد وقام بتمثيل ادوارها كل من يونس شلبي وشريهان وحسن عابدين وسيمحة توفيق..

وقد توقف عرض هذا الفيلم بسبب ان ورثة الصحفي لطفي عثمان، الذي كان في عام ١٩٢٢ اول من كتب عن بداية ونهاية ومحاكمة عصابة ريه وسكينة قد اقاموا الدعوى على كل الذين استفادوا من ذلك التحقيق الصحفي ولم يقدموا للورثة أي شيء.. وقد مثل الورثة في دعاواهم المخرج الاذاعي عصام لطفي –احد مخرجي اذاعة (صوت العرب) وهو نجل الصحفي المعروف لطفي عثمان الذي كان صاحب قصة ريه وسكينة التي كتبها على شكل تحقيق صحفي اثناء محاكمة العصابة عام ١٩٢٢.

جريدة كل شيء
عام1964

سوق السراي في الثلاثينيات

هكذا كانوا يستقبلون العام الدراسي
طقوس وتقاليد من داخل أشهر سوق للكتب في العراق..

شمس الدين الحيدري

لاشك ان الكثير ممن قدر لهم ان يشهدوا ثلاثينيات هذا القرن يذكرون الزخم الكبير والمهرجان التلقائي الذي كان يشهده سوق السراي في بغداد موسميا خريف كل عام متزامنا مع موعد افتتاح المدارس في الاول من تشرين الاول فامواج من البشر جلهم من الطلبة بمختلف الاعمار والفئات بنينا وبنات يتوجهون مع اوليائهم الى سوق السراي ليتزودوا بالكتب المدرسية والقرطاسية المتنوعة والتي تناسب جميع المراحل الدراسية.

في بداية الثلاثينيات اكتملت شخصية سوق السراي الكتبية، اذ كادت جميع محاله تشغل من قبل محترفي بيع الكتب والقرطاسية في ايام بدأت اسس التعليم والدراسة في العراق تستند الى جهود كوكبة تربوية رصينة امثال المرحوم ساطع الحصري ومتي عقراوي وزملائهم من قادة الفكر والتربية، يحققون افاقا من امثال نشر التعليم والمعرفة بين شرائح الشعب تحت مظلة وزارة المعارف العراقية التي كان يستوزر لها احيانا ذو اختصاص وباع طويل في المعرفة والتدريس واحيانا اخرى من هو بعيد جدا عن امورها واختصاصها!!

كان يتعين على رب الاسرة استعدادا لتسوق متطلبات دراسة ابنائه من الطلبة ان يحسب كلفة الطالب من الكتب المدرسية والدفاتر والقرطاسية اجمالا بمعدل دينار لكل طالب ابتدائية ودينارين لطالب المرحلة المتوسطة، وثلاثة دنانير لطالب الاعدادية فاسعار الكتب المدرسية كانت تتراوح بين العشرين فلسا والمئتي فلس اما القرطاسية فكانت اسعارها منخفضة نسبيا تجعل للطالب حرية التحكم بالنوعية والاختيار ، متذكرين قيمة الدينار انذاك، حين كانت (للمرحوم) الفلس!! قيمة لها اعتبارها ، فبعشرة فلوس من الك الفلوس تتهيأ وجبة غداء معقولة للفرد الواحد، وما زاد عن العشرة يكون زيادة في الرخاء والتنوع !! و(الواشر) وهو الدرهم يجلب الكثير للاسرة فيه يمكن شراء كيلو من اللحم ويمكن التسوق لمؤونة عائلة متواضعة يوميا، اسوق هذه المعلومات لندرك حرص العوائل العراقية على تعليم ابنائهم وبناتهم مع عبء الكلفة، فكان من المألوف ان تجد الولي رجلا او امرأة مستصحبا معه اولاده من البنين والبنات وهو يشتري لهم متطلبات دراستهم من الكتب والقرطاسية والدفاتر للعام الجديد، سعيدا بهذه المهمة مع انه يقتطع جزءاً غير يسير من معاشه أو مورده ليسدد تلك الضريبة راضيا ليوفر لاولاده فرصة العلم والتخرج والوظيفة المرموقة اجتماعيا وماديا، فهو يشعر بانه يخدم الوطن والنفس وتوفر له تلك الوظيفة والمهنة مصدر رزق مطمئنا وموردا ماديا يعين به الابن العائلة الكبيرة والوالد على امور المعيشة.. ومتطلبات الحياة..

الكتب المدرسية..مصادرها

في تلك السنوات من الثلاثينيات بدأ العراق يعتمد على مطابعه في تهيئة جزء من المطبوع المدرسي، واغلب الكتب العراقية المدرسية كانت تطبع من قبل تاجرين كبيرين وكلاهما مستورد للورق ولديهما مطابع واجهزة جيدة نوعا ما وتكاد مطابعهما متفرغة لطبع الكتاب المدرسي. الذي يتهيأ قبيل موعد افتتاح المدارس وكانا يجهزان اغلب الكمية الى المرحوم محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية بالنسيئة و(على التصريف) لمدد قصيرة نسبيا لكي يتسنى لهم تصريف الكتب ومن ثم اجراء التسوية الحسابية مع الممول او الناشر.. وهكذا كانت الكتب متوفرة للجميع بسهولة ويسر وبالاسلوب نفسه يقوم تجار الشورجة باستيراد وتوفير وتوزيع القرطاسية المتنوعة الى المكتبات العديدة والمنتشرة في السوق (واشهرهم الحاج عبد الغني واخوه الحاج حسن ابو قلام) وبنفس اسلوب الدفع الاجل، وبتسديد للحساب باقساط اسبوعية وتتم تلك العمليات التجارية بكل ثقة وامانة وصدق ..فالجميع يلتزم بحقوقه وواجباته المالية ويندر ان تجد من يشذ عن هذا السلوك التجاري التي يتم احيانا من دون مكاتبة او تسجيل فالثقة هي سيدة العلاقات والامانة هي رأسمال الجميع.. ولم يكن الا النادر الذي يسمح لنفسه ان يضحي برأسماله هذا..

وفي هذا المجال اذكر موقفا لأحدهم الذي اختصت مكتبته لبيع الكتب المدرسية والقرطاسية فكان هذا الرجل يطبع قبيل افتتاح المدارس قائمة باسماء الكتب المدرسية للمراحل الدراسية مشفوعة بانواع القرطاسية التي يحتاجها طلاب كل صف من كل مرحلة ويثبت اسعارا اقل من اسعار السوق بنسبة تصل الى عشرة بالمئة مما يحدث بلبلة واهتماما لدى الكثير من مديري المدارس ومديراتها وينصح الكثير منهم طلابهم وطالباتهم للتسوق من تلك المكتبة فترى التجمع على اشده عند ذلك المكتبي.. والهرج والمرج يشتد عند باب مكتبته من كثرة المراجعين والمراجعات.. وقد عجبنا جميعا (كاصحاب مكتبات) من اسعاره التي يفترض انها لاتحقق الربح له فكيف يعتمدها، واذ سألته عن سلوكه هذا اجابني ضاحكا ان عملياته هي الناجحة وذلك انه يستفيد من التجمع والتجمهر عند مكتبته فهو يقوم بتسجيل قائمة الحساب لكل مشتر على عجل وعند اجراء عملية الجمع يتعمد صاحبنا السهو والخطأ فيزيد من مجموع الحساب زيادة تعوض فرق اسعاره المزعوم واكثر، وهو اذ يتعمد هذه الزيادة لايجد المشتري الفرصة لتدقيق حسابه، واذا ما اكتشف الخطأ والفرق بالمبلغ بعد حين.

يكون صاحبنا قد مزق نسخة الحساب الخاصة بالمكتبة، واذا ما راجعه بعض المشترين بعد ايام مكتشفا الفرق بالمبلغ، ادعى هذا (الشاطر –الكتبي) ان كثرة الازدحام وزخم الناس ادى للالتباس والخطأ في عملية الجمع.. فيعتذر بخباثة وحصيلة الامر.. انه بتعمده الاحتيال والكذب ضاعف رأسماله وزاد من املاكه... ليصبح من (الشطار الاغنياء) الذين اغتنوا بوسائل غير نزيهة!!

لم تكن الكتب المدرسية الجديدة هي بضاعة الموسم الدراسي وحدها.

فهناك الكتب المدرسية المستعملة فالكثير من العوائل كانت تقصد سوق السراي لسؤال عن الكتب المستعملة ومن الطريف ان الجميع كانوا يصطلحون عليها بالكتب (الملبوسة)!! وهي بالتأكيد ازهد من الجديدة، واحيانا يتم التبايع بين الناس انفسهم واحيانا اخرى تجري المبادلات بينهم.. فهذا لديه كتب الصف الاول المتوسط يبادلها بكتب الثاني متوسط عند الاخر..

وهكذا ..يتعايش الناس فيما بينهم يسودهم حس بالوحدة الوطنية.

حادثة ..!

في اواسط الستينيات وكنت في القاهرة قد بعث للجامعة العربية مجموعة من الكتب العراقية، ولدى تسلمي للصك اخبرني مدير الحسابات ان نائب امين عام جامعة الدول العربية يطلب زيارتك له، فاخبرته باني لم يسبق ان تعرفت عليه، وكان حينذاك العراقي المرحوم (عارف ظاهر) فاخبرني انه بلغ سكرتيره بطلبي للقاء، فكان ان اخذت المصعد لطابق الرئاسة فاستقبلني السكرتير وادخلني غرفة الرئيس الذي استقبلني بكل احترام وتقدير وحفاوة ورحب بي وعاتبني اذ لم ازره خلال زياراتي السابقة للقاهرة. فاعتذرت له وخجلت ان اعترف باني اجهل معرفتي به..واذ احس الرجل ما بي ضحك وقال لي "اني اعرفك جيدا.. فبيني وبينك حادثة لم أنسها مع مرور اكثر من ثلاثين عاما، فقد كان والده من اصدقاء والدي، وكان يأخذه واخوته الى سوق السراي مواسم المدارس ليتسوق لهم الكتب والدفاتر من مكتبتنا الاهلية وبمساعدة والدي، وفي احدى السنوات (يقول الاستاذ عارف) وكنت حينذاك في الصف الثاني المتوسط، وقد حصلت على نسخة مستعملة من كتاب الهندسة بعد يوم من شرائنا للكتب من مكتبتكم ، وقد قررت ان ارجع النسخة الجديدة التي اشتراها والدي من مكتبتكم لاستفيد من ثمنها ، فجئت الى المكتبة ولم يكن والدك موجودا بينما كنت انت محله، وطلبت منك ارجاعه لكنك ابيت وامتنعت قائلاً ان هذا من شأن ابيك وليس من الامانة ان تقوم بارجاع الكتاب واستغلال ثمنه دون علم والدك وقد شعرت حينها انك كنت محقا وان اعادتي للكتاب من دون موافقة والدي او علمه يعد خيانة"..وبقيت هذه الحادثة الصغيرة ، في ذاكرة المرحوم عارف ظاهر درسا اخلاقيا مؤثرا يذكره بتفاصيله وبابعاده التربوية والاخلاقية مع مرور سنين طويلة عليه.

مناهج الدراسة في الامس البعيد!!

من المناسب ان اذكر لك قارئي العزيز ان مستوى الدراسة وكتبها في الثلاثينيات قد تطورت عن مستواها في العشرينيات فقد اصبحت العديد من الكتب المدرسية للمراحل الدراسية الثلاث من تأليف او ترجمة اساتذة عراقيين وخصوصاً في المواضيع العلمية والرياضيات والاجتماعيات.. اما اللغة العربية فقد كانت سلسلة القراءة المصورة للصفوف الابتدائية لمؤلفين عرب، ومطبوعة في سورية، وفي النحو كانت تعتمد سلسلة النحو الواضح للمرحوم علي الجارم المصري ومصطفى امين باجزائه الثلاثة للابتدائية وثلاثة للثانوية، وكتاب البلاغة الواضحة ودليلها للدراسة الاعدادية واعتقد ان المختصين في النحو لايزالون يعترفون باهمية تلك الكتب ومتانة المادة اللغوية التي كانت تقدمها لطلبة تلك الايام.

كما كانت بعض الكتب المدرسية للمرحلة الابتدائية تطبع باللغة الكردية لطلبة المحافظات التي يقطنها الاكراد وفي المواضيع العلمية والاجتماعية، اما كتب اللغة الانكليزية فكانت وزارة المعارف هي التي تستورد كتب المراحل الثلاث.

فللابتدائية كانت سلسلة (سلابير وكنفرزيشن) وللمتوسطة مجلدات (باتويز) لثلاثة صفوف وللاعدادية (بايولوجي وبوتاني) أي الاحياء والنبات ، وكنا نقصد مخزن المعارف ومديره حينذاك المرحوم (رؤوف الجلبي) وكان الرجل متواضعاً ومساعدا لاصحاب المكتبات يعينه في عمله بعض الموظفين ، نشتري منهم الكميات المناسبة من كتب الانكليزي مضافا اليها كراسات الخط الانكليزي للمرحلة الابتدائية، كما ان كراسات الخط العربي كانت مطلوبة وباهتمام..

اذ كان الخط العربي من الدروس الضرورية التي يرعاها المدرسون حينذاك، وان التهاون في تدريسه صيرنا مع الاسف عرضة لأن يكون بعض خريجي كليات هذه الايام ذا خط واملاء مشوه، إضافة الى تدني مستوى اللغة والقواعد والاعراب لدى الكثيرين مما حرمنا من مجيديها مع الاسف الشديد، لقد كان موضوع الانشاء وتلخيص بعض الكتب الادبية والثقافية لمؤلفين معروفين احدى وسائل تطوير قابليات طلبة تلك الايام وتمكنهم من ملكة الخطابة والانشاء.

اخيرا فلا يمكن ان ننسى ونحن نعرج على اجواء مدارس تلك الايام دور الرعيل الاول من الاساتذة العرب الذين خدموا في العراق في الثلاثينيات اذ كان لوجودهم ومساهمتهم الاجتماعية دور كبير في تنشيط الحركات الثقافية بين الشباب بمختلف فئاتهم امثال الاساتذة السنهوري وعبدو حسن الزيات وعبد العزيز محمد. ومحمود عزمي وغيرهم في القانون والعزام والزيات وزكي مبارك والمازني ونظرائهم..

وحسين مروة ومحمد شرارة وفريد زين الدين ودرويش المقدادي والحوماني وغيرهم مما لهم دور كبير وفضل لاينكر..

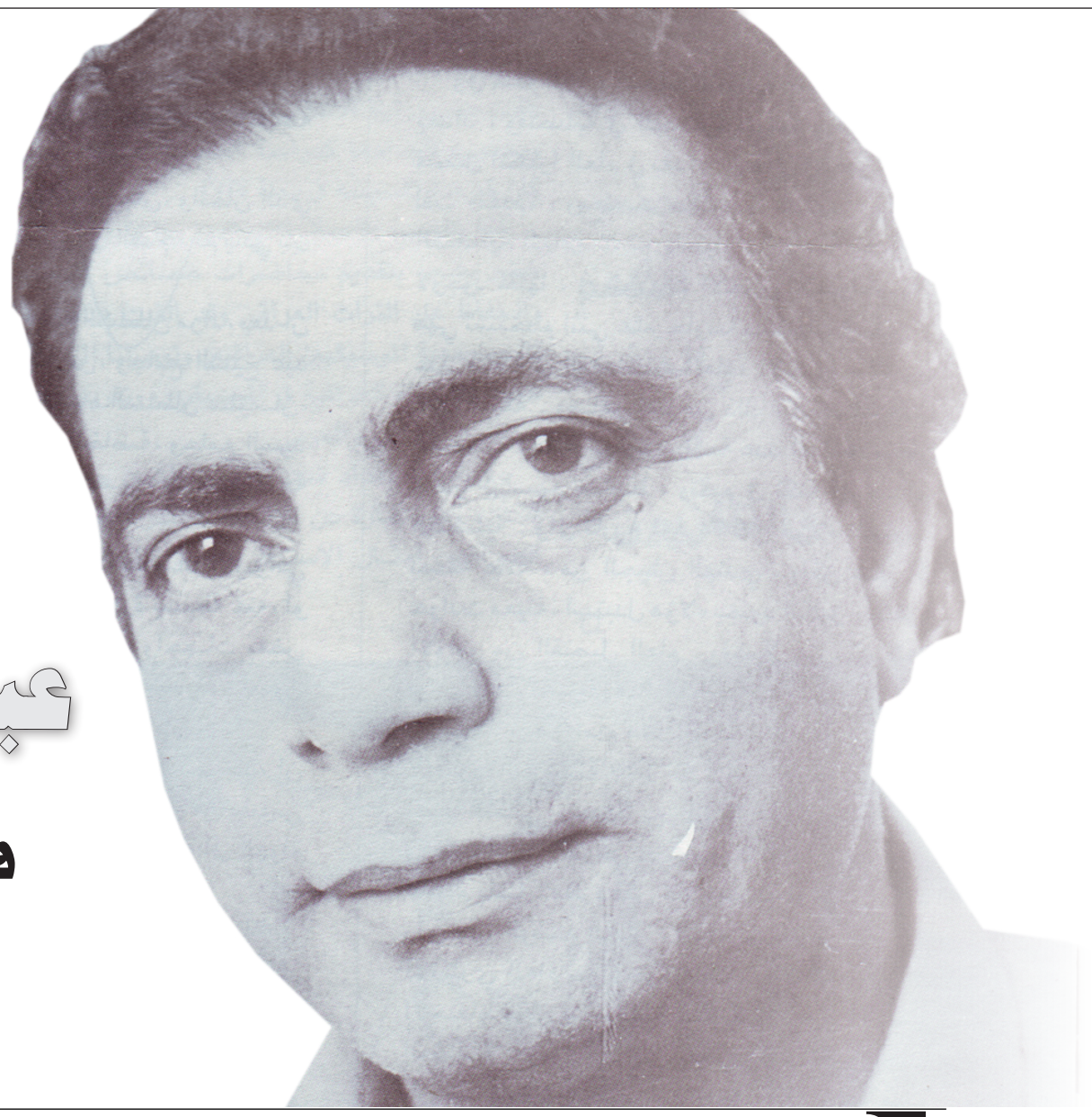

عباس جميل

فنان الاغنية البغدادية

عوقب بقطع راتب خمسة ايام لانه عزف على العود
ماذا حدث لعازف القانون في اغنية لزهور حسين..؟

عرف عن الفنان عباس جميل، اضافة الى حلاوة الصوت، وموهبة الابداع في مجال الموسيقى والتلحين ،بحلاوة المجلس، وطلاوة الحديث وسرعة البديهة ولطافة النكتة، وحفظ الشعر، فذاكرة ابي طارق شريط حافل يحفظ لمسيرته الفنية المعطاء كل دقائقها، حلوها ومرها ، سعيدها ومؤلمها".

ويحتفظ ايضا باخبار الفنانين الذين تعامل معهم، وتعاطف واياهم، والظروف التي واجهتهم في بدايات حياتهم الفنية.وقد جمعتني المصادفة ذات مرة، بالفنان المبدع عباس جميل فدار بيني وبينه حديث طويل..فكان فيها ما دعاني لان اسجل بعضه لاقدمه الى القراء والمعجبين بعطاء عباس جميل، لانه يمثل تاريخا لحقبة فنية حافلة..ليس بالنسبة لمسيرة عباس جميل، فحسب، وانما لمسيرة الفن في العراق. فالتاريخ انما هو حصيلة جهد الافراد مجتمعا.. وعباس جميل هو مفردة مضيئة، يصطف الى جنب المفردات المبدعة، التي تكون بمجملها، التاريخ الفني في بلدنا الحبيب "العراق".

البداية والمدرسة الاولى

قال الفنان عباس جميل:

قبلت في السادسة عشرة طالبا في مدرسة ضباط الصف المهذبين بعد النجاح من المرحلة الابتدائية في الكلية العسكرية حيث تخصصت مدربا على الاسلحة والرياضة العنيفة..وكان الفن وقتها يسري في دمي..

وقد قضيت في الكلية العسكرية اجمل سني عمري من عامي ١٩٤١-١٩٥٦ وأني لاعتز كل الاعتزاز بتلك الفترة من حياتي وافخر بها كل الفخر..لانني دربت العديد من الدورات التي خرجت ضباطا ممتازين..

وقد كانه الجيش مدرسة ضخمة بالنسبة لي وبالنسبة للكثير ممن عرفتهم، لانها تخلق رجال اشداء، لايهابون الموت، يحملون نفوس ابية شامخة، وقلوبا رحيمة رؤوفا، وثقافة اجتماعية وعلمية، سواء من خلال الدروس او الالتقاء بالرفاق التلاميذ الذين قد تختلف ميلوهم وهواياتهم بالنسبة للعلم والثقافة والادب والشعر، ولكنهم يلتقون في نقطة اساسية مهمة هي "حب الوطن" ومن طريف ما اذكره في هذه العجالة، انني عوقبت بخمسة ايام قطع راتب..لانني كنت اعزف ذات مرة،وفي وقت الاستراحة على الة العود فسمع امر الكلية صوت العود.. وعاقبني وكانت رتبتي في ذلك الوقت رئيس عرفاء سرية!

×روح الشهيد

ويسترسل الفنان عباس جميل في حديثه عن بداياته الفنية قائلا:

في عام ١٩٤٨ كانت بداياتي مع الفن حيث توجه الجيش العراقي الى فلسطين للذود عن تربة فلسطين الحبيبة ، وقد شكلت وقتها فرقة للترفيه عن الجيش وباشراف ضباط كان من بينهم المتقاعد "منير الذويب" الذي عمل محاميا فيما بعد، حيث كتب لي اول اغنية وطنية تذاع عن الجندي، وبعنوان "روح الشهيد" والتي مطلعها:

"انا لم ازل حيا اشاركم فما هذي الدموع وعلام
هذا الحزن قد ضمت سادرة الضلوع لم السواد؟!
لم البخور، لم الدموع لم الشموع انا مثلكم لاينثني
عزمي فيطويني الخنوع".

ولقد تعاطفت الجماهير المتأججة المشاعر وقتها مع الاغنية، وكانت تغني في سوح المعارك في فلسطين.

ومن هنا وجدت اشياء كثيرة يجب علي تحقيقها وكان في مقدمة هذه الاشياء واقربها الى روحي "الفن الموسيقي" والذي هو برأيي يلعب دورا كبيرا في تأجيج الروح الوطنية لابناء الشعب وتأجيج حماسة الجندي في ساحات القتال.

فبدأت ادرس الموسيقى دراسة علمية على يد الاستاذ "روحي الخماش" وعلى مدى سنتين ، تعلمت فيها اصول كتابة النوتة الموسيقية واصول العزف على الة العود.

ثم تتلمذت بعد ذلك على ابرز مدرسي المقامات العراقية في بغداد هما الاستاذان حسن خيوكة وعبد الهادي البياتي.

×مرحلة التلحين والتجربة الاولى:

ويدندن ابو طارق بينه وبين نفسه، وكما تقف الشعرات اليتيمة في راس الاصلع وقف شعر رأسي متصورا انه اكتفى بالحديث الى هذا الحد، ولكنه ضحك وقال لي بعد ان سألته "لا..اريد اخذ نفس شوية"!

ثم اضاف:

اتجهت بعد ذلك الى مرحلة التلحين للاغنية العراقية التي كانت "تلوب" وقتها تحت الردح الموسيقي القديم، "اي الايقاع الثقيل" فلحنت اول اغنية "كتجربة" للفنانة الراحلة زهور حسين وكان مطلعها:

"اخاف احجي وعلي الناس شيكولون".

فانتشرت هذه الاغنية انتشارا واسعا، وحققت نجاحا شعبيا، وذلك لخفة ايقاعها ، وسرعة فهم الكلام المصحوب مع الموسيقى العراقية الاصيلة.

ومع ذلك، فقد وجدت في نفسي حاجة الى نهل الكثير من مناهل الفن في مجال الموسيقى وان اكون ملما بشؤون الموسيقى على وجه العموم.

فدخلت معهد الفنون الجميلة للسنة الدراسية "١٩٥٠- ١٩٥١" فدرست على يد الاستاذ سلمان شكر سنة واحدة، وعلى يد الاستاذ المرحوم منير بشير، لان الدراسة كانت وقتها في المعهد سبع سنوات.. فتخرجت بدرجة شرف..وعينت معلما للنشيد في احدى المدارس الابتدائية.

في هذه المرحلة بدأت التلحين، بعد نجاح التجربة الاولى وكنت الحن اغنية التي تتوفر فيها شروط النغمة العراقية الاصيلة....

فلحنت لزهور حسين اغاني كثيرة هي:

غريبة من بعد عينج يايمه
جيت يا اهل الهوى
يم عيون حراكة
اني اللي اريد احجي

كما ولحنت اغنية "جاوين اهلنه" للفنانة وحيدة خليل وكذلك اغنية "على بالي ابد ما جان فركاك".

و"عين بعين على الشاطئ تلاكينه".

ولحنت لسليمة مراد اغنية ، "يايمه ثاري هواي" اما عفيفة اسكندر ، فقد لحنت لها:

"على عنادك"

طولا تمشي ورى اللي يضحكك".
وكانت اول تجربة لي في مجال تلحين الاغنية الريفية، هي اغنية لداخل حسن عنوانها:
"يا طبيب صواب دلالي كلف لا تلجمه بحطة السماعة".
لقد اهتممت وانا الحن هذه الاغاني، وكما اشرت الى ذلك قبل قليل ، الخروج بالاغنية العراقية بالصيغة الفنية الصحيحة لها، واول صوت اعتمدت عليه في ذلك هو صوت المطربة الراحلة "زهور حسين".
اما وحيدة خليل فان صوتها يمثل الاغنية الريفية الصحيحة، فيما يمثل صوت سليمة مراد اللهجة البغدادية الاصيلة..
ونسأل ابو طارق عن صوت عفيفة اسكندر، فيقول:
لقد تمثلت اغاني "عفيفة" بالظل الغنائي الخفيف، وكان له وقع في قلوب الناس.

×مائدة نزهت والدكتور حسن..

ثم يعرج الفنان عباس جميل في حديثه عن المطربة مائدة نزهت فيقول: في بداية عام ١٩٥٤ شدني صوت المطربة مائدة فلحنت لها اول اغانيها للسينما في فلم "الدكتور حسن" حيث حققت نجاحا كبيرا وبشكل سريع للغاية، وكانت الاغنية:
"جاني من حسن مكتوب وياها الفرح مصحوب"..
وقتها لم تكن مائدة قد قدمت اغاني من الاذاعة فسبقني في استخدام صوتها للاذاعة احمد الخليل، حيث لحن لها اغنية "اصيحن اه والتوبة" لكنني سرعان ما لحنت لها اغنية تختلف في طريقتها عن الطريقة التي لحن فيها "احمد الخليل" فكانت اغنية "ياكاتم الاسرار" وقد وضع كلماتها علي جلال وقد لحنت الاغنية من مقام مشتق من مقام السيكاه وكان جديدا على صوتها ، فأدته بشكل رائع ، ثم لحنت لها فيما بعد وحتى الان:
العيون
وحلم اخضر..
واغنية وطنية عن الحرب العراقية الايرانية..
وكذلك اغنية يا عراقي..

×الفنان يحترم نفسه

ويعود الفنان عباس جميل، فيحدثنا عن الايام الاولى عن فترة الخمسينيات وكيف كان الناس ينظرون للفنان فيقول:
ان الفترة الزمنية الاولى لدخولي الساحة تلحينا وغناء..
كانت فترة صعبة جدا، كان الفن يحترمه الفنانون فقط، اي ان الفنان يحترم نفسه فقط.
فكنا لانجد من يقول هذا الفنان "فلان" او المطرب "فلان" او الملحن" فلان" حتى كلمة "التلحين" لم تكن كلمة يتعارف عليها احد.
فعندما كانت الاغنية تذاع حية لايذكر المذيع اسم الملحن "اللهم" الا اذا كان صاحبه أو....ان يضغط عليه الملحن "بالقوة".
ليس هذا فقط..تصور عندما كان الملحن يقدم لحنه للاذاعة ، يسأل عن اسم المطربة التي ستغني اللحن تاركين كل الامور الاخرى التي تضمن نجاح الاغنية للمكانة التي تتمتع بها المطربة، وقتذاك!!اي ان المطربة كانت كل شيء في المسألة..اما الملحن فلم يكن يتمكن حتى من اخذ الجزء القليل منه كحق ادبي!

×التحول

وبعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ والحديث للفنان عباس جميل، بدأ التحول الغنائي والموسيقي من الاغنية العاطفية الى الاغنية الوطنية التي كان الملحن العراقي لايمتلك تجربة فيها..
لقد قلت لشاعر غنائي: ماذا تقول ونحن في صبيحة الثورة؟!
قال: ماذا اقول!!
قلت وبعد ان اذهلني جوابه:
"صوت الشعب يا جيشنا ينابك ذخر للعرب الله يخليك".
فقدمت الاغنية ، ثم كتب لي الشاعر علي جلال اغنية "فتحنا باب الحرية" واستمررت في تلحين الاغاني الوطنية الا انني فوجئت في ٦ كانون الاول عام ١٩٥٨ برفض اغنية "صوت الشعب" وحوسبت عليها ، فتوقفت عن تلحين مثل تلك الاغاني في ظرف كان يستحق ان اتوقف فيه..لان مركبة الثورة حادت عن طريقها!
فاخذت افكر في عطاء جديد..تتحكم فيه الانغام المتعددة والتوزيع الهارموني، فتطرقت الى الاغنية الموزعة وكانت في مقدمة هذه الاغاني اغنية "جاوين اهلنه" التي وزعها الدكتور الجيكي "كوبتسا" ووجدت في هذا التوزيع الجديد، وهذا الخط الجديد، انه ذو تأثير لدى جمهور المستمعين..فسرت على هذا الاتجاه وكنت احث اخواني الملحنين للسير في هذا الخط الموسيقي الذي يرفع من مستوى التذوق الى درجة احسن ..ومن بعدها قمت بسفرات الى كل من مصر والجزائر وتونس والبحرين والكويت وشمال افريقيا وكذلك جيكوسلوفاكيا والمانيا ولندن وقدمت العشرات من الاعمال لاذاعتها..
كما زرت بلدان الخليج العربي ووضعت اكثر من ٨٠ اغنية باصوات المطربات العراقيات وكانت في مقدمتهن لميعة توفيق..وغادة سالم، هناء، انوار عبد الوهاب، مائدة نزهت، وعفيفة اسكندر.
ثم اتخذت لي خطا في مكتبة الكويت كمغن للمقام العراقي بالطرق العلمية المبنية "كملحن" واقصد بذلك بان المقام العراقي عندما يكرر بصوتي يكرر بالمرحلة الاعلى، اي انه اصبح ضمن اطار موسيقي ثابت غير قابل للتغيير.
اما بالنسبة للاعمال التي قمت بها فنيا فقد كلفني الاستاذ منير بشير بتقديم محاضرات عن خصائص الموسيقى العراقية والحفاظ على التراث العراقي وقد القيت هذه المحاضرات في نادي جمعية الموسيقيين العراقيين وتوصلنا الى نتائج جيدة منها ضبط الاسماء العراقية في الموسيقى، وتقريب المصطلحات الى المستمع العراقي والعربي.
وفي اذاعة بغداد قمت بتقديم ثلاثين حلقة بعنوان "حياة فنان" وهي عبارة عن دراسة لاشهر المغنين والموسيقيين العراقيين امثال الاستاذ محمد القبانجي وعبد الامير الطويرجاوي، وحسن داود، وحسن خيوكة..وهناك اعمال كثيرة اخرى لايسع المجال لذكرها الان..

×مفارقات

قلت للفنان عباس جميل: في حياة كل انسان مفارقات لاتعد ولاتحصى، فعسى ان يكون لنا في هذا اللقاء حصة منها، وقبل ان تحدثنا عن بعضها، هل تحدثنا عن سر تلحينك "للمطربات" دون المطربين؟!
فيضحك ابو طارق ويقول: بصراحة كان اغلب المطربين يلحنون لانفسهم...احمد الخليل يلحن لنفسه..ويحيى حمدي ومحمد عبد المحسن ومحمد كريم يلحنون لانفسهم ايضا...وهذا ما جعلني الحن للمطربات ، وقد عانى الجميع بعد افتتاح محطة التلفزيون فان ادارة المحطة كانت تفضل الجنس الناعم على الجنس الخشن، وهكذا كانت الحاني تذاع من التلفزيون عدة مرات كل يوم من خلال اغاني بعض المطربات بينما "الجماعة" تذاع اغانيهم من الاذاعة!
واذا كنت تريد بعض المفارقات فأقول:
ذات مرة كنت في احد البلدان وقد طلب مني ان اسجل اغنية في صباح اليوم التالي فوافقت وفي الليلة نفسها عثرت ووقعت فانكسر السن الامامي في فكي، فراجعت طبيبا لكي يضع سنا اصطناعيا لي، لانه لايجوز ان اظهر على شاشة التلفزيون وسني مكسور..وبعد ان ركب الطبيب السن الاصطناعي ، اخذ اجرا قدره خمسون دينارا عراقيا وذهبت الى استوديو التلفزيون وسجلت الاغنية في الموعد المحدد...
وبعد ان خرجت سلموني اجور تسجيل الاغنية وكان قدره خمسون دينارا عراقيا!!
وذات مرة دعيت لاحياء حفلة عيد ميلاد..وعندما حضرت الحفل..كان المكان يغط بجمهور غفير، والبذخ على اوجه..قدمنا بعض الاغاني وخلال فترة الاستراحة..سألت عيد ميلاد من هذا العيد الذي ازدحمت العوائل فيه هذا الازدحام وبلغ البذخ فيه ما لم اره من قبل في اعياد مماثلة..فسألت احدهم: اين المحروس الذي تحتفلون بعيد ميلاده؟!
وهنا رمقني الرجل بنظرة غريبة وقال: الم تر صورته على علب واغلفة الجكليت؟! قلت: لا والله لم انتبه..
فذهب الرجل وجاءني بجكليته فرأيت على الغلاف "صورة كلب"..
فدهشت وقلت له: هذه صورة كلب؟! قال: نعم فاليوم هي ذكرى عيد ميلاده الثالث ولقد احتفلت به السيدة صاحبته لانها تحبه كثيراً! ومن يومها لم احضر حفل عيد ميلاد احد، من الذين لا اعرفهم خوفا ان يطلع مثل ما طلع!!
واذكر ايضا انني بعد ان لحنت اغنية "غريبة من بعد عينج يايمه عام ١٩٥٦" لزهور حسين ، تقرر تقديمها من الاذاعة وعلى الهواء وكنت اقود الفرقة الموسيقية، لم تكن زهور قد حفظت الاغنية جيدا..فسجلتها على الورقة وامسكت الورقة بيدها ،وعندما بدأت الغناء كانت تبكي لكلمات الاغنية المؤثرة، حتى وصلت الى المقطع الثاني، فارادت ان تجفف دموعها فطارت الورقة الى تحت الكرسي الذي يجلس عليه عازف القانون...
فذهبت بسرعة وسحبت الكرسي بعد ان نهض عازف القانون من عليه..واخذت الورقة واعطيتها لزهور..بكل هدوء.
وتصور عازف القانون انني اعدت الكرسي الى مكانه فعندما اراد الجلوس هوى على الارض وصرخ: "اويلي انكسر ظهري"..وانكسر القانون ، فسمع الناس صوته من الراديو مباشرة حتى ان بعضهم اتصل وهو يقول: "هاي شكو حفلة غنائية لو معركة"؟!

بالنسبة للاعمال التي قمت بها فنيا فقد كلفني الاستاذ منير بشير بتقديم محاضرات عن خصائص الموسيقى العراقية والحفاظ على التراث العراقي وقد القيت هذه المحاضرات في نادي جمعية الموسيقيين العراقيين وتوصلنا الى نتائج جيدة منها ضبط الاسماء العراقية في الموسيقى، وتقريب المصطلحات الى المستمع العراقي والعربي.

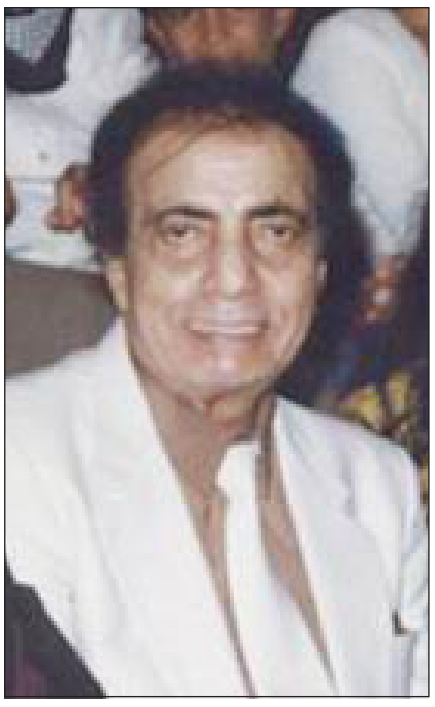

الجنس الناعم والجنس الخشن والتلفزيون!

مجلة الاذاعة والتلفزيون
حزيران 1977

كيف هرب نوري السعيد أمامي في تموز 1958؟

صفاء الحيدري×

اعتدت ايام الصيف من كل عام ان اقيم في كابينة (جرداغ) في وسط نهر دجلة ببغداد وفي ناحية الكرادة بالذات مقابل شارع (ابو اقلام)، حيث كانت هناك شبه جزيرة تمتد الى وسط النهر امتلأت بالاشجار الورفة التي كانت محط انظار سكان الكرادة لما تتمتع به من مناظر خلابة وجو جمال بارد في صيف بغداد، يوم لم تكن هناك مبردات وايركونديشنات ووسائل تهوية حديثة.

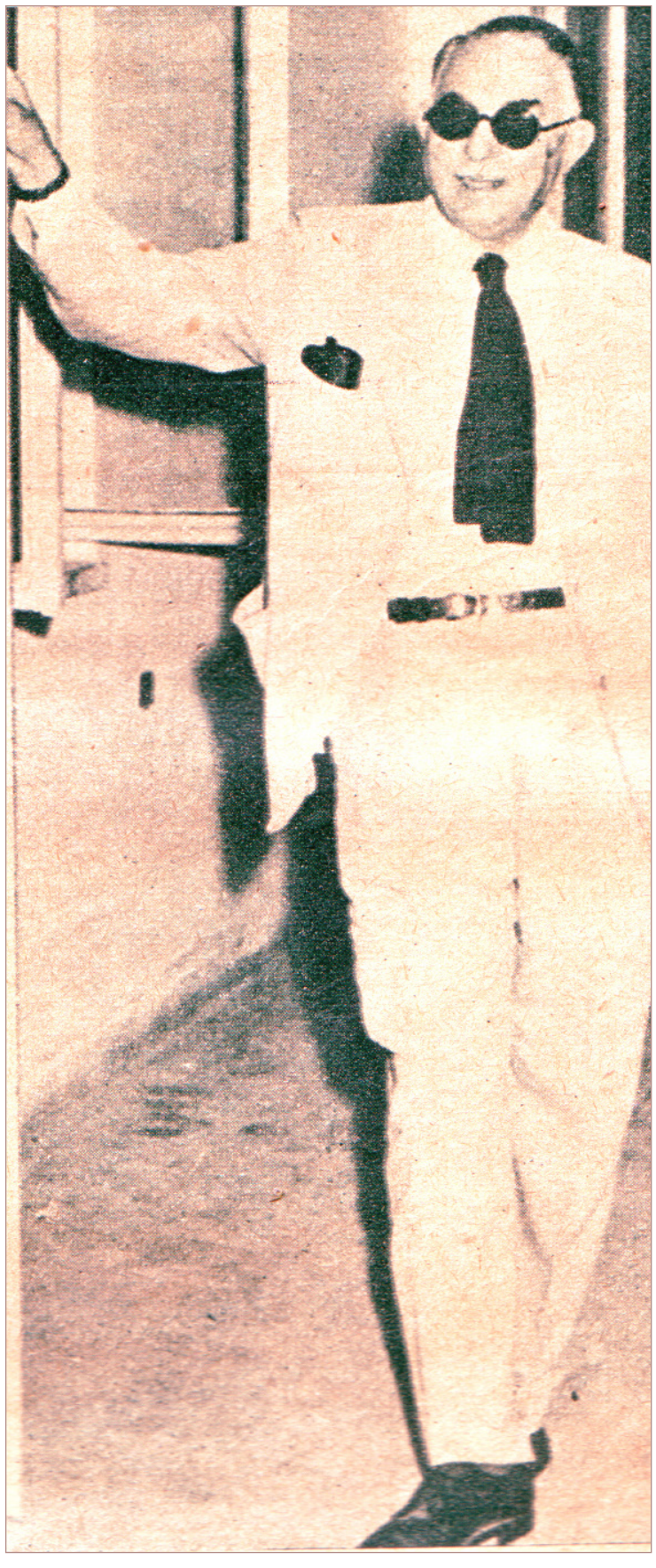

وكنت اختار البقعة بحيث تكون منعزلة عن بقية الجراديغ التي تكتظ في تلك المواسم بالناس. اذ يقصدونها ليقضوا عليها اوقاتا سعيدة بين سباحة ورياضة واستمتاع.

وكنت اقضى هناك اكثر من ثلاثة اشهر، ولا انزع جرداغي الا بعد ان يهطل المطر فما كان في بغداد مكان يعادل هذا المكان جمالا وسحرا ولطف هواء..وانقطع عن الناس طوال هذه المدة الا من يزورني والا من اراهم عندما اخرج الى سوق الكرادة في محلة الخربندة او ارخيته لاتبضع حاجياتي للاسبوع من طعام وشراب..

وكان الاخر الشاعر خاشع الراوي يومئذ ملاحظا في مديرية الدعاية والنشر عندما يأتي احد الصحفيين العرب ويسأل عني يرشدونه الى مكاني في الجزرة، فيأتون لاخذ حديث منياو مجموعة اشعار فينسون وسط هذا المكان الساحر بين منظر السماء الساحرن والنهر الرقراق المتلألئ بالنجوم واكلة السمك المسكوف (مسكوف) ينسون الحديث والشعر الذين جاءوا بصددهما، فنضرب وعدا لليوم الاخر. كما حدث لي مع مدير محطة الشرق الادنى يومذاك الاستاذ المرحوم (نمر ابو شهاب) الذي اصبح زائرا مقيما وكما حدث مع مذيع باريس الفرنسية ومدير محطة صوت امريكا في بغداد والذي كانت له دائرة كبيرة في الباب الشرقي قرب مديرية الزراعة العامة لتسجيل الاحاديث والاشعار العامة لتسجيل الاحاديث والاشعار.

هكذا انطلقت صيف عام ١٩٥٨ بزورقي من الباب الشرقي بعد ان حملته بكل الاخشاب والحصران (البواري) الضرورية لبناء الجرداغ، وانطلقت وحدي ظهيرة احد الايام قاصدا الجزرة تاركا الماء يحمل الزورق الى حيث اريد بفضل التيار القوي لنهر دجلة.

وصلت الى اول اطراف الجزرة الخالية الا من جرداغين، فحططت رحالي وبدأت بنقل اخشابي وحصراني وحدي تمهيدا لبناء الجرداغ الذي اعتدت ان اقوم به وحدي دون اية مساعدة من احد لطول ممارستي لهذا العمل خاصة عندما كانت تقتضي الظروف نقل الجرداغ من مكان الى اخر بسبب ارتفاع الماء.. او التهامه لاطراف الجزيرة المرتفعة وسقوط الكتل الرملية الى النهر بدوي هائل كنا نسميه (الهدام) خاصة في الاماكن التي تكون ارض الجزيرة فيها مرتفعة عن الماء باكثر من متر.

وحدث وانا جالس استريح ان لمحت شرطيا قادما نحوي فاستغربت واستمر الرجل يتقرب مني حتى دنا وسلم علي ورددت عليه التحية فسألني وهو يشير نحو الاخشاب والبواري ما هذا؟

فقلت: انصب جرداغا..

فقال: ممنوع، قلت: ولماذا؟

قال: لاننا مقابل قصر نوري باشا، فاشرت الى الجرداغين وقلت: وما هذان الجردغان؟

قال: انهما لصباح بك ابن نوري؟

باشا:

قلت: وهل هو الذي اعطى لك هذا الامر وارسلك؟ قال: لا

فحياني الشرطي واستدار وذهب، ولم يعد ابدا..

فبنيت الجرداغ واحطته بسياج كبير يضم الف متر مربع وارسلت بطلب السرير والكراسي واكتمل العمل خلال يوم واحد فجلست ذلك المساء على جرف الماء مقابل قصر نوري السعيد، ولم يخطر لي على بال قط بأنني من ذلك المكان ساشاهد بعد ايام المنظر الاخير من مسرحية حياته والمشهد النهائي لحياة العائلة الملكية الهاشمية في العراق، مع اخر فصل من فصول الملكية في العراق.

ففي ذات يوم قبيل طلوع الفجر افقت على صوت هدير بعيد صادر من جسر مود (الاحرار) وكنت ساعتئذ نائما في العراء بين الجرداغ وبين الشاطئ، على سرير حديدي ذي عارضتين عند الرأس والقدمين تحمياني من أي شيء.

وكان الصوت الذي سمعته بزداد ويتعالى، فأتضح لي انه هدير دبابات..

وكان لدي ضيف هو (ن) ابن شقيقتي فنظرت اليه فاذا به مازال نائما، وكان الهدير يمضي متصلا ولكنه ينقطع عندما يصل اليابسة حيث تمثال الملك فيصل الاول في الصالحية قرب دار الاذاعة.. بينما ينتصب تمثال اخر غير بعيد امام السفارة البريطانية ذات المسافة الكبيرة للجنرال (مود) كان الهدير متواصلا كما قلت ولم يكن الفجر قد طلع لكي اتبين الامر، ولكني تذكرت انه اليوم الذي سيعبر به الجيش الى الاردن فاطمأن خاطري، وسكنت هواجسي ولكن حدث ان مزق سكون الفجر صوت طلقات متتاليات لرشاشات قريبة مني جدا، بل واكثر قربا مما اتصور فهي تصدر من قمة قصر نوري السعيد بالذات وبكثافة كبيرة.

وبدأ الفجر وبدأت خيوطه تنتشر وبدأت جيوش الظلام تندحر شيئا فشيئا، فاذا بي ارى قصر نوري السعيد يصلي ما حواليه من رشاشات السطح بشكل لاهوادة فيه فاستغربت اشد الاستغراب.

وبعد طلوع النهار وازدحام الناس ووقوفهم بمحاذاة سياج القصر الجانبي والذي تفصل بينه وبين القصر مساحة ارض خالية الا من بعض اشجار النخيل القليلة لاتزيد على الفي متر مربع اثار انتباهي وظل الامر مستغفلا علي لان كل شيء كان يخطر على البال في ذلك الوقت الا حدوث ما حدث.

ولم تمض دقائق معدودات حتى كان الرصاص المتبادل يئز فوق رؤوسنا، وبدأت حركة غير اعتيادية لجنود وراء النخيل.

يحاولون التقدم بحماية النخلات الموجودات على الشاطئ، ولكن عبثا لان النار التي كانت تنطلق من السطح كانت تمنع كل حركة لهؤلاء الجنود.

وبدأت حركة غير اعتيادية في الجزرة. فاخذت الزوارق تغادرها وهي محملة بالناس بحيث لم تمض دقائق حتى خلت الجزرة من (ان اودان) من كل حي الا انا وابن شقيقتي، الذي جرى للشاطئ وهو يرتدي ملابسه والتحق باحد الزوراق المغادرة.

كنت الى ذلك الوقت مضطجعا في فراشي لا اعرف ماذا يجري وما الذي افزع كل هؤلاء الناس فهربوا ومعهم ابن شقيقتي ولم اجد وقتا لالحق باحد منهم واسأله عن ما حصل، اذ تبادر الى ذهني انهم عارفون بما يجري والا لم تركوا جراديغهم وهربوا لايلوون على شيء الا لأنهم دارون بما يجري؟.

كان قصر نوري السعيد امامي لايفصلني عنه وهو يقع بين قصرين احدهما على يمينه وهو قصر الشابندر والثاني على يساره وتفصلهما مساحة من الارض خالية من البناء ذكرتها قبل قليل، اما قصر الشابندر فله "مسناة" عالية وعريضة على عرض القصر من السمنت المسلح وفي اسفلها بمحاذاة الماء ممر من الحجارة والصخور هي من بقايا البناء تنتهي عند العبور عليها الى سدة من التراب منحدرة كانت السد الطبيعي لدجلة في كرادة مريم.

وكان على منحدر هذا السد مجاور لقصر الشابندر شخصان اضطجعا جنبا الى جنب يحتميان من الرصاص المنهمر، هما زورقيان تركا زورقهما على الشاطئ او لاذا بالسد بعد ان فاجاهما انهمار الرصاص من القصر وعلى القصر واضطجعا ينتظران النهاية.

ظللت على الفراش وانا محتم بسياج السرير، فاذا بي اشاهد شخصا مرتديا بجامة نوم يتقدم من القصر الى الشاطئ والرصاص على شدته، وشاهدته وهو ينزل على سلم الشاطئ وينحرف الى جهة مشاة قصر الشابندر، عندئذ لاحظت انه يحمل مسدسا بيده وانه يبدأ السير على الحجارة المرصوفة اسفل المسناة.

كان يتقدم ببطء وحذر، ولايزال المسدس بيده كمن خبر هذا الطريق ويعرفه جيدا وعندما وصل الى المنحدر الذي ينام عليه الرجلان.

رأيته يصوب المسدس عليهما ويكلمهما مدة لم تطل، نهض بعدها الرجلان وانزلقا الى الزورق، فصعدا الرجل اليه ايضا وجلس على المقعد الخلفي للزورق ولايزال المسدس في يده.. ثم تحرك الزورق ومضى بهما مع مجرى الماء وانا

امعن النظر الى ظهره ولكنه لم يفتأ ان انزلق الى قاع الزورق، ثم شيئا فشيئا اختفى الزورق من امامي.
كان القصر لايزال محاطا بالجنود وغير بعيد صف طويل من الاهالي استند الى جوار سياج البيت المجاور الذي على اليسار ، وكانت النار لاتزال تنطلق بغزارة من رشاش فوق السطح وبعد نصف ساعة من مغادرة الرجل للقصر هذا كل شيء. ورأيت الجنود المحيطين بالقصر يركضون الى الشاطي ويدخلون من الشاطئ الذي يطل على النهر وكان بدون سياج لانه كان محروسا بماطورين (زورقين بخاريين سريعين) ، دخل اخرون من الباب الرئيسي الذي كان المدافعون يحمونه وبهذا انتهت المقاومة واستسلم المدافعون.
وكأنما الناس الواقفون بمحاذاة السياج الاخر ينتظرون هذه اللحظة فما كاد الجنود يدخلون من الحديقة المطلة على النهر، حتى شمر الحفاة المنتظرون هذه اللحظة عن سيقانهم من رجال ونساء يرتدون الدشاديش (قميص النوم) وانطلقوا الى الدار كالعاصفة ودخلوا ، ثم عادوا يحملون ويجرون خلفهم ما بين كرسي ومائدة ودولاب وسرير. وكل ما وصلت اليه ايديهم، فتذكرت عندئذ الفرهود الذي شاهدته عام ١٩٤١ عندما هجم الناس على حي اليهود في الشورجة وقتلوا من قتلوا وحملوا ما خف وغلا وانطلقوا به في شارع الامين وانا انظر اليهم مستغربا والفرهود هي الكلمة التي اطلقت يومها على اليوم الذي فرهد فيه الناس حي اليهود، فاوغروا صدورهم علينا بحيث بدأوا سرا وجهارا يعملون لانشاء دولة لهم، دولة اصبح اسمها اسرائيل اليوم فانتقمت منا ابشع انتقام لم يجر مثله في التاريخ الا انتقام الاميركان من الهنود الحمر، فشردوا شعبا بكامله ومرغوا جباه كل الشعوب العربية في الوحل والطين والعار والشنار ، واصبحوا هم المؤمنين ونحن الكفار لان العقيدة التي اسمها الشرق في نظر الغرب الاستعماري هي منذ الحروب الصليبية التي شنها علينا الى اليوم سوى ان الوسائل اختلفت فاصبح الإستعمار العسكري استعمارا "اقتصاديا".
وحتى الزورقان البخاريان اللذان كان راسيين على الشاطئ لم يسلما.
استقلهما اثنان من الرجال وهربا بهما الى جهة الباب الشرقي وهكذا لم يمض جزء من الوقت الا وكان القصر قاعا صفصفا الا ما استطاع الجنود الاحتفاظ به وكان الامر واضحا امامي الان –عند ذلك الصباح –ولكنه كان يحتاج الى تفسير فهرعت الى داخل الجرداغ حيث الراديو وفتحته على بغداد.. فاتضح الامر وتصورت ما حدث اثناء عبور الجيش الى الاردن.. فقد استولى على الحكم.
ولما اتضح كل شيء لدي، كان اول ما صنعته ان ارتديت ملابسي، وخرجت اتفقد الجزرة فاذا بها مغلقة الجراديغ، خالية الا من بعض الطيور المحلقة المفتشة عن سمك وفضلات سمك لان من عادة سكان الجزرة ان يسقفوا السمك(مسكوف) ويأكلوه بعد ان يمتلئوا بالخمرة.
وجاء الحارس فطلبت اليه ان يحرس الجرداغ ريثما اعود فركبت زروقي وعبرت الى شارع الكرادة حيث اسواق رخيته لاشتري حاجيات الاسبوع واستمع الاخبار، فرأيت الناس وهم بين فرح وواجم وحائر ، وعرفت ان عبد الاله قد قتل. وان فيصل الثاني مات من النزف وان العائلة المالكة قتلت وان نوري السعيد هرب وانهم يبحثون عنه وعدت الى الجزرة.
فعلمت من الحارس بان بعض افراد الجيش من الضباط وجنود جاءوا يسالون عني ..وما اذا كنت رأيت نوري السعيد، وهو يهرب وانه اعلمهم من اكون.
وجلست الى الراديو لاتسمع الى تفاصيل الثورة، فعرفت من سير الاحداث ان الذي هرب امامي كان نوري السعيد نفسه وليس واحدا من اهله واتباعه وهكذا تم لي ان ابصر نهاية رجل حكم العراق قرابة ربع قرن.
وكتبت عنه مقالا في جريدة العراق اليوم لصاحبها جواد القدسي بعنوان مدرسة نوري السعيد اتهمه فيه بأنه انشأ مدرسة في العراق.
وضع ثلاثة مجالس فيه ، مجلس اعيان ومجلس نواب ، ومجلس وزراء، وملأ هذه المجالس بالذئاب ، واطلقهم على الشعب ليعيثوا فيه فسادا وخرابا وسرقة.
وفي اليوم الثاني للثورة اعلن عن قتل نوري السعيد في محلة البتاويين ببغداد، وقيل ان قاتله كان مرافقه وصفي طاهر شقيق لطفي ابو كروة (لطفي طاهر) الذي عرفته ملازما ثانيا عند والدي، والذي يأتي الكلام عنه وفي الحقيقة ان وصفي لم يصل الى نوري الا وهو مقتول أي انه انتحر بمسدس كان حمله عندما علم بأن الشعب قد اكتشف امره وشخصيته التي كان يحجبها ويخفيها بعباءة نسائية.
وعلمت بعد يوم واحد من الحارس ان الضباط والجنود الذين سبق ان حضروا للسؤال عن نوري السعيد بغيابي جاءوا ثانية واعتذروا وذهبوا وابقوا لنا بعض المعلبات كهدية متواضعة لنا على خطأ ارتكبوه.

× شاعر راحل
هذه صفحة من مذكراته التي نشرها
نشر جزء منها في الثمانينات

نسوة يشاهدن سيارة نوري السعيد

من وحي ثورة العشرين الوطنية

ابراهيم عبدكه

حسين الجاف

بالرغم من انه اشتهر بين الناس شقيا فان سمعته مجاهدا واحد ثوار ثورة العشرين العراقية الكبرى.. لاتزال تتردد اصداؤها في المحافل الشعبية في محافظة ديالى والمناطق المحيطة بها بل حتى في انحاء وطننا العراقي كله.. وقد ذكره بكل خبر الدكتور المؤرخ (محمد حسين الزبيدي) في كتابه (المنفيون العراقيون الى جزيرة هنجام) مثلما اشاد به سليمان فيض في مذكراته قائلا: لقد كان (ابن فيض في ذكراته قائلا: لقد كان (ابن عبدكه) ثائرا شعبيا من عامة الكرد اشتهر بالشجاعة والاقدام وكانت له اثناء الثورة العراقية مواقف مشرفة ضد الانكليز في لواء ديالى.. فلما نشبت الثورة العراقية واخلى الانكليز ديالى منسحبين .. دخلها ابن عبدكه ونصب نفسه مديرا للامن فيها فبطش بالجواسيس والمتعاونين مع المحتل الانكليزي شر بطش فقتل بعضهم واحرق دور البعض الاخر منهم مما اثار نقمة الانكليز وحقدهم عليه وفي عهد الحكومة الاهلية القي القبض على ابن عبدكه وسيق الى المحكمة الكبرى في بغداد بتهمة قتل موظف رسمي اثناء تأدية واجبه فحكم عليه بالاعدام شنقاً وعندما قام ابن عبدكه بتمييز الحكم لدى محكمة التمييز.. تبين ان القتيل لم يكن موظفا رسميا وانما هو احد الاهلين المأجورين كان الانكليز قد عهدوا اليه بالتجسس على العراقيين لحساب دائرة الاستخبارات البريطانية وورد في القرار التمييزي ايضا ان القانون لايعاقب على مثل هذه الجريمة لاكثر من خمس عشر سنة..
واختلف حكم التمييز فيما بينهم فوافق على الاعدام (رئيس المحكمة) وعضوان من هيئتها وعارضه (سليمان فيض) و(رشيد عالي الكيلاني) واجلت الجلسة عدة مرات وكانت تأتينا والكلام لايزال لسليمان فيض) التوصيات المتكررة من المندوب السامي لتصديق قرار الحكم بيد اننا لم نأبه بها.. وشغلت هذه القضية الرأي العالم العراقي كله لذا كنت ترى قاعة المحكمة وفسحتها وقد اكتظت بالاف الناس ، وكان الناس كلما خرجت او خرج رشيد عالي الكيلاني هتفوا لنا واكبروا مواقفنا لانقاذ ابن عبدكه، من حبل المشنقة ثم صدور تصديق القرار باكثرية الاصوات...فثبتنا معارضتنا الشديدة انا ورشيد عالي الكيلاني في نقض القرار فلما اطلع عليها الملك فيصل الاول امتنع عن تصديقه وامر بتخفيف العقوبة الى الحبس لمدة خمس عشرة سنة.. وقد علمت بعد ذلك بان ابن عبدكه قضى نحو ١٥ سنة في السجن ثم اخلي سراحه (سليمان فيض) في غمرة النضال.
الصفحات ٢٨٥ و٢٨٦.
غير ان السيد يونس سعيد البغدادي في كتابه (شقاوات بغداد في العصر الماضي) كان قد ذكر بان (مس بيل) هي التي توسطت له وانقذته من حبل المشنقة.
بقوله:
ذات يوم من ايام الاحتلال البريطاني للعراق بعد عام ١٩١٨..قدم قطار كركوك الى بغداد وهو يقل قوة بريطانية وكانت (المس بيل) من بين ركاب ذلك القطار.. وعند وصوله الى منطقة شهربان (المقدادية) داهمه بعض المسلحين وتغلبوا على القوة البريطانية.. وأسروا (المس بيل) وفي هذه الاثناء صادف ان وصل ابن عبدكه الى المكان فاستقبله الرجال المسلحون بحفاوة بالغة فلما شاهدت (مس بيل) ذلك احتمت به فتحركت نخوته العراقية فحماها وأوصلها الى بغداد بأمان.
وظل ابن عبدكه طريد السلطة حتى القي القبض عليه في ١٤ حزيران عام ١٩٢١، ثم جرت محاكمته ليعاقب بالاعدام كما اسلفنا الا ان جهات مختلفة مارست ضغوطا شديدة على السلطات ليخفف الحكم الى الاشغال الشاقة المؤيدة ومن ثم ليخرج من السجن عام ١٩٣٦..
(كتاب شقاوات بغداد في العصر الماضي للسيد يونس سعيد البغدادي –الصفحة ٨١)..
وقد ورد في كتاب مديرية شرطة الحلة المرقم س/١١ والمؤخ في ١٩٣٥/١/١٩ مايلي عن ابراهيم عبدكه تحت موضوع (بيان سلوك). اشارة الى كتابكم المرقم س/١١ في ١٩٣٥/١/٣ ..ان ابراهيم حسن عبدكه من مواليد لواء ديالى ناحية أبي صيدا قرية (ذيابه) اصلا سكن ديالى في خريسان، قبلا كان يشتغل في الفلاحة والزراعة عند (محمود المتولي) انه منذ القديم من اهالي ديالى.. رئيسه (عبد الحسن الجواد) قد حكم بالمؤبد على اثر هيجان العشائر في الثورة ، قبل مدة تعيينه مراقبا سريا للاثار القديمة براتب خمسة دنانير ونصف وصارت منطقة سكناه الحلة ويسكن حاليا في محلة (اللعيس)..انه قائم بواجبه بعفته ونزاهته..
التوقيع

متصرف لواء الحلة

ويظهر من تاريخ الكتاب والمعلومات الواردة فيه عن سلوكية ابراهيم عبدكه انه ظل تحت المراقبة والمتابعة من قبل السلطات يومئذ لعدم اطمئنانها له كونه مشاركا في احداث ثورة العشرين الخالدة بالرغم من انه امضى خمس عشرة عاما في السجن بسبب موقفه المؤيد والمشارك في تلك الثورة الشعبية.
ويروي السيد داود سلمان (ابو غزاي) معاون مدير الاعاشة العام في عام ١٩٤٣ النبذة التالية..وهو من اهالي ابي صيدا.. (قرية ذيابه) أي من نفس قرية (ابي صيدا) ..قصة حياة ابن عبدكه للسيد سامي خونده احد الوجوه الوطنية العراقية في ثورة العشرين وما بعدها...فيقول:
كان ابراهيم عبد كه شابا يافعا هادئ الطبع، يقوم بمساعدة ابيه بعمله وعيشه في قريتنا (ذيابه).
علما بان ابراهيم عبدكه كان رجلا ذا مروءة كما يسترسل ابو غازي في الكلام ..اذ لم يتعرض الى رجل ضعيف ولم يعتد على شيخ عاجز او صبي ولايتجبر على الضعفاء والفقراء والنساء ولهذه الاسباب صار محبوبا من قبل الناس.. لهذا اعجبوا به وكانوا يساعدونه في التخلص من مطاردة الحكومة فترة طويلة..
وعندما علم (ابن عبدكه) بامر الثورة المسلحة ضد الاحتلال البريطاني في انحاء العراق عام ١٩٢٠ وتأجج نيرانها بين سكان العشائر تقدم من تلقائه ومعه اخوه الى بعقوبة في الاسبوع الاول من شهر ايلول عام ١٩٢٠فاقتحمها وامطرها وابلا من الرصاص من شمال البلدة من قنطرة (خليل باشا) وذلك قبل ان تدخلها عشائر الكرخية، ولما سمع الانكليز الذين كانوا في بعقوبة طلقات الرصاص التي اطلقها ابن عبدكه واعوانه هربوا ملتجئين الى حامية الجسر وعندما دخلت عشائر الكرخية المدينة وجدتها خالية من أي وجود حكومي، ثم ذهب بعد ذلك الى شهربان وهاجم القتلة.. وقد تمكن رجال الشرطة بقيادة معاون الشرطة المرحوم (ابراهيم الشاوي) من القاء القبض على ابن عبدكه، في قرية (خبات) وهي من الاوقاف القادرية ثم سيق الى المحكمة التي كانت برئاسة حاكم بريطاني اسمه مستر (ودمان) وعضوية حاكمين عراقيين هما عبد المجيد الياسين ويعقوب سويدة بينما توكل في الدفاع عن ابن عبدكه.. المحامي الكردي (معروف جياووك) ثم ميز محامي الدفاع..قرار الحكم باعدام ابن عبدكه شنقا لدى محكمة التمييز التي كانت هي الاخرى برئاسة انكليزي هو المستر (بريجارد) فقد صادق رئيس المحكمة وعضواها الحاكمان داود سمرة وصالح الباجه جي على القرار أي (ثلاث من اصل خمسة اعضاء(بينما عارض القرار الحاكمان المرحومان (رشيد عالي الكيلاني وسليمان فيض).
ثم نشر محامي الدفاع (معروف جياووك) مقالة في الصحف المحلية اوضح فيها ان قرار الحكم ضد ابن عبدكه جاء بالاكثرية المطلقة وليس بالاكثرية المقيدة وذكر ان الاكثرية المطلقة تعني زيادة واحد على نصف الاراء.. بينما الاكثرية المقيدة تعني ثلثي الاراء ولزيادة المعلومات.. ينظر كتاب (المنفيون العراقيون الى هنجام) للدكتور محمد حسين الزبيدي /بغداد –١٩٨٩ الصفحة ٢١٨ وختاما نقول:
ان ابراهيم حسن عبدكه .يعد بحق من وجوه ثورة العشرين الشعبية وسواء كان عشيرة السيمرلي ..وقد اخذت اسمها تحريفا من عشيرة السورميري الكردية او من نهر (سيمره) فانها لابد وان تذكره بخير دائماً.. لكونها قد انجبت رجالا مثل ابن عبدكه وضعوا حلو الحياة على الاكف وطفقوا يطلبون المجد من خلال التضحية في سبيل وطنهم وشعبهم العراقي العظيم .. والذي وضع منذ فجر التاريخ يده على الزناد دفاعا عن ههذ الارض الطيبة.

قسم من رحلة قريزر الى بغداد

جعفر خياط

الميدان والقلعة

فاتني ان اذكر لكم في رسالتي السابقة انني بعد وصولي الى بغداد بيوم او يومين ذهبت لزيارة الباشا ، الذي كانت قد جلبت له معي كتاب توصية من شيخ الاسلام في تبريز ، وقد استقبلت بما يليق من المجاملة ، لكني يمكن ان اقول بالتأكيد انه ليس هناك شيء يمكن تصوره ليكون اقل تعبيرا عن فخامة المقام وابهته من مقام سموه، ولا اقل اعتبارا من خلقه ومظهره.

فقد كان الدخول الى مسكنه، الذي يصعب ان يسمى قصرا، على احقر ما يمكن ان يكون، وكان القائمون على خدمته يتناسبون مع المكان الذي يعملون فيه تناسبا تاما –اذ كان هناك عدد من الالبانيين الرثين في مظهرهم ، وقليل من الاتراك المنصرفين الى التدخين، وجماعة من الموظفين سيئي الهيئة والهندام، ولم يكن الشخص الذي ادخلنا للمثول بين يديه على حال احسن بكثير منهم. فقد وجدنا هناك رجلا بدينا يناهز الخمسين من عمره، عليه رداء من الفرو، وفي رأسه طربوش يجلس في جناح براني مؤثث تأثيثا اعتياديا، ومفتوح على الساحة بكليته. وكانت هناك على الارض سجادة لا باس بها ، وكان المسند الافرشة التي جلسنا عليها مغطاة بقماش من الحرير القرمزي.

وكان الباشا على ما ذكرت، رجلا بدينا فيه شيء كثير من سحنة التتر ولكن بشكل مقبول وقد تحدث الي كثيراً راداً على فارسيتي باللغة التركية، فكان حديثه على وجه العموم شائقا بالنسبة لمقام الباشوية الذي يشغله ، غير ان المجلس كان فيه عدد كبير من الاشخاص لايسمح للباشا بأن يفتح قلبه بحضورهم، كما كان من المؤمل ان يفعل لو كان لوحده، فقد كانت الغرفة ملأى بأناس كانوا يرتدون ملابس تركية وعربية وايرانية وكردية ولم يكن يخلو المجلس من المحدثين والمتكلمين ، ولما كانت الفائدة من مثل هذا التحدث قليلة نهضت بأقرب ما كانت تسمح به اللياقة والحشمة ، وبعد ان ترخصت من فخامته ذهبت لزيارة الكهية الذي كان يجلس في غرفة مظلمة تقع في ممر يبدو على درجة غير يسيرة من الكبة، وفي مثل هذه الدهاليز المظلمة من سرايات الامراء والباشوات تقترف حوادث القتل والاغتيال الكثيرة عادة، فان الضحية المسكينة التي يراد الاجهاز عليها ما ان يمر منها وهو خلي البال مما يهدد سلامته حتى يجد نفسه وقد لف شال حول عنقه من الخلف قبل ان يصرخ بكلمة "الله" او يخرج اليه من باب جانبية الباني جلواز فيفرغ النار من قربينته (بندقية صغيرة) في بطنه، او يطلق خرطوشة مسدس في دماغه، فينتهي أمره وسرعان ما يشاهد جذعه الخالي من الرأس معروضا في "الميدان" وقد حدث شيء من هذا القبيل قبل مدة قصيرة في هذا الممر بالذات، على ما روي لي، على اني اجتزته سالما والحمد لله فوجدت الكهية، الذي كان على رأس الجيش المنكسر.. جالسا في زاويته وبالقرب منه عقيد في الجيش النظامي.. وضابط من ضباط الخيالة الالبان، وعدد من أناس غير معروفين مسطرين في جوانب الغرفة الثلاثة وقد جاءوا يهنئونه على مأثره الاخيرة على ما احسب لانهم على ما يقولون قد قاموا باعمال باهرة برغم هزيمتهم المنكرة، فقد اقسم قائد المدفعية ايمانا مغلظة بأنه اطلق خمس مئة قذيفة من مدافعه، فقتلت كل قذيفة خمسة عشر رجلا من رجال العدو ، وهو لايذكر رقما اكبر من هذا لانه يود ان يبقى في ضمن الحدود المعقولة القابلة للتصديق!

ومع كل هذا فقد اجبروا على التقهقر بطريقة من الطرق –انه يعترف بهذا على كل حال.

وقد اكتفينا بزيارة قصيرة: اذ تناولنا القهوة ودخنا شطبا او شطبين –هذا ما فعلوه هم على الاقل –ثم عدت من السراي محفوفا بلفيف من خدام فخامته وهم يطالبونني ، وليس يرجونني بالهدايا مطالبة ملأى باللجاجة والالحاف، وهذا ازعاج ممجوج للغاية تشاهده هنا وفي استانبول لكنه اشد ازعاجا هنا فأن طجميع "الخدم الذين يقفون في خدمة أي رجل كبير تزوره هنا ينتظرون من الغريب ان يطعمهم او يقدم لهم هدية من الهدايا ، وقد اصبحت هذه العادة الممقوتة جزءاً من الوضع العام بحيث ان الخدم يعدون هذه الاكراميات قسما من اجورهم او رواتبهم ، ولذلك لايمكن لاي شخص ان يتفادى الاذعان لها، فكل فرد او مراجع لابد ان يستفيد من المراجعة فيدفع لهم تبعا للفائدة التي يحصل عليها.. اذ يدفع الموظفون والمستخدمون هذه "الرسوم" لخدام الرجل الكبير من اجل تكوين اصدقاء في الديوان، بينما يدفع لهم هم بدورهم من يروجون له اشغاله.. وهكذا اصبح هذا التعامل عادة شائعة بحيث ان المرء لايمكنه القيام حتى بزيارة اعتيادية بسيطة من دون ان يدفع شيئا للجميع.

وقد اصبحت هذه في السراي عادة ممقوتة مزعجة للغاية، اذ يحدق الاتباع والخدام الذين لا حصر لهم بالمرء كاللصوص ، وينفذ الاجبار على الدفع الى حد قيام الجنود الذين يقفون للتحية بمد بنادقهم لقطع الطريق عليك حتى تدفع "الرسم" المطلوب ولا ادري اذا كان لابد لي ان اعود الى موضوع الباشا من جديد، على ان رسم صورة تقريبية لبغداد لايمكن ان يتم من دون تكريس عدد من جرات القلم لوصف سيدها الحالي، فقد سبق لي ان أتيت على وصف علي باشا ومظهره الخارجي.

اما عقله فليس اكثر جاذبية من الوعاء الذي يحويه. فهو ضعيف الرأي، واهن العزيمة، متردد في العمل، فظ ، في قابلياته وشهواته، انساني جشع.. والمقول عنه انه غير ميال في طبيعته الى القسوة او الظلم.. ولكنه يكره ازعاج نفسه بالاجهاد من أي نوع كان بحيث انه يفضل تعذيب الاخرين من دون رحمة على الخضوع لمثل هذا الازعاج ولو ادى به الامر الى ارتكاب افظع الجرائم.

ولذلك استغل خدامه نقطة ضعفه هذه، والطمع الذي يساوره ، في الجور على الناس لانهم مطمئنون بانه لا يمكن ان يشاجر احدا يأتي له بالمال ولا يعمل على اقلاق راحته ، وهو على ما يقال دمث الاخلاق ، مطلع على شيء غير يسير من الادب التركي، وقد سمعت من مصدر ثقة ان ابيات الشعر التي ينظمها بالتركية لاباس ، لكنه بمجموعه رجل ذو ميول خسيسة ، وغير لائق بالمرة للمنصب العالي الذي يشغله بمسؤوليته الكبيرة.

وللباشا ولع شديد بالصنعة (الكيمياء القديمة) من بين جميع الصنعات الاخرى، وهو يصرف على ما يقال مبالغ غير قليلة على الدراويش والقلندرية والمغامرين الذين يدعون المهاراة بها، ولو اردنا ان نصدق الاخبار التي ترددها الافواه نجد ان هذا المال لا يصرف كله عبثا، لان هناك الان رجلا في هذه المدينة قد نجح فعلا، كما يؤكد البعض في قلب النحاس الاصفر الى ذهب والرصاص الى فضة، ويمكنكم ان تطمئنوا ان هذا الخبر كان كافيا ليوقظ في حب الاستطلاع، فقررت ان ارى ان امكن هذا الكيميائي او بعض الناس الذين شاهدوا بانفسهم هذه العملية في الاقل.. فتبين بعد البحث ان التجربة قد اجريت

بحضور الباشا نفسه، ورجل ايطالي يدعى المسيو دي ماركي ، كان يشرف في زمن الباشا السابق (أي داود) على دار الاسلحة ودار سك النقود معا، واستمر على ذلك حتى الوقت الحاضر.

وهو فوق هذا كله رجل بارع، وقد حصلت منه على قصة هذه التجربة كلها، وهي اذا لم تؤيد بالتمام جميع ما تناهى الي في هذا الشأن فأنها على الاقل تثبت ان الباشا كان يتعامل مع رجل غير دجال.

فقد اعلن هذا الرجل، وهو عربي، في الاخير انه على استعداد ليجرب صنعته بعد ان ظل عدة شهور يشتغل في مختبره بتحضير اكاسيره ومركباته، وتسلم كثيرا من المال لمتابعة العمل.

واذ كان المسيو دي ماركي مشككا في الموضوع وغير مؤمن بدجل هذا المغن الباهر، فقد قرر ان يراقب العملية بدقة ليكتشف الادعاء الفارغ، ويزن بيديه هو نفسه النحاس الاصفر، الذي جاء به هو ايضا ليقلب الى ذهب، ويضعه في البودقة، وقد اجريت العملية في مختبر "السكة خانة" واستعملت اجهزته فيها..

وفي اثناء العملية طلب الرجل شيئا قليلا جدا من الزرنيخ الابيض والاصفر، ولاجل ان يحول المسيو دي ماركي دون استخدام اية حيلة بعث يجلب هذا المركب من مخزن كان يعتمد عليه في كونه يبيع اشياء اصلية غير مغشوشة ، وقد وضع هو بنفسه حتى الزرنيخ في البودقة، ولم يتقرب الكيميائي الممتحن منه مطلقا سوى لاضافة كمية قليلة جدا مسحوق معين اخرجه بملعقة صغيرة من احدى العلب، وسكب المسيو دي ماركي نفسه المعدن المتميع حينما اصبح جاهزا من البودقة وحفظه عنده.. فوجد عندما فحصه ان قسما منه قد استحال الى ذهب بالفعل ، وحينما وزن الكتلة كلها وجدها اثقل قليلا من النحاس الذي كان قد وضعه في البودقة ، فأستفسر من الكيميائي العربي كيف يمكنه تعليل هذا الفرق في الوزن ، فذكره هذا في الحال بالزرنيخ المضاف الذي يؤلف بمجموعه نفس المقدار اذا ما اضيف اليه النحاس، وقد اجرى المسيو دي ماركي بعد ذلك التجربة نفسها فوجد النتيجة على مثل ما قال عنها رجل الصنعة الماهر.

ثم عمد المسيو دي ماركي بعد ذلك الى مفاعله الكتلة كلها مع ماء الفضة (حامض النتريك) فاذاب ما تبقى من النحاس الاصفر وترك الذهب وكأنه لم يمسسه شيء، وحينما وزن هذا تبين انه يقدر بثلث الكتلة كلها..

وعندما طلب اليه ان يبين لم لم ينقلب النحاس كله الى ذهب اجاب ان العملية كلها عبارة عن تجربة وهي لابد ان تكون غير كاملة من جميع النواحي، أي انها كانت على ما اعتقد ثاني تجربة اجراها مع هذه المواد.

وقد فحص الذهب ووضع تحت تأثير حجر المحك (محك الذهب) في السوق فوجد انه على احسن ما يكون ، وانه ذهب يمكن تسويقه.

ولم يكن المسيو دي ماركي سخيفا بحيث يمكن ان يتواطأ في عملية تزيف يمكن ان تصدر من هذا الرجل العربي، ولذلك اجد نفسي ملزما بتصديق قصته ومعتقدا بها ضمنيا.

وقد كان دي ماركي حذرا في اعطاء حكم قاطع في الموضوع، وانما اعلن فقط عن عزمه على مراقبة حركات الرجل وخاصة خلال قيامه باجراء تجربة اكبر من التجربة السابقة خلال الايام القليلة التالية. فأبديت رغبة قوية في الحضور في اثناء القيام باجرائها من دون المجازفة باستثارة حسد الباشا في امر يكون شديد الحساسية فيه على الاخص، وقد علمت بعد ذلك ان المحاولة قد تمت فكان الاخفاق حليفها، وطلب الرجل السماح له بالذهاب الى جبال كردستان على ما اعتقد ليجمع منها بعض ما كان يحتاجه من مواد.. لكن الباشا رفض ان يسمح له بمغادرة المدينة خوفا من عدم عودته بطبيعة الحال. فما اغرب هذا الخليط المتكون من الايمان بالشيء وعدم الثقة به في الوقت نفسه!!

فالباشا يؤمل ويعتقد اعتقادا جازما بنجاح محاولات هذا الرجل، ومع ذلك فهو على تغاضيه عن نفس الاشياء التي يجب ان تفتح له عينيه وتقضي على آماله يتمسك بها برغم ما تدل عليه قدرته في التمييز والحكم على الاشياء، وقد ذهبنا ذات يوم لزيارة الكيميائي المذكور في معمله.. فكان رجلا اعتيادي المظهر ميالا الى البدانة.

من دون ان تبدو عليه امارات العبقرية والجرأة في الحديث، وكان عند دخولنا عليه قد اخرج لتوه من الفرن شيئا مسخنا الى حد البياض ، وهو جرعة ذات رائحة كريهة اعدها لامير المناطق الجنوبية، وقد كان الرجل وقتذاك في حالة تشبه حالة الاعتقال المبجل، واني ارى انه اذا لم يعمل في الحال على اعادة شيء من مال الباشا بشكل سبائك ذهب فما عليه الا ان ينصرف الى البحث عن اكتشاف يدفع عنه شر الشنق او الاعدام.. لان تطاول صبر الباشا وانتظاره سيؤدي به الى الموت اذا امتد الى اكثر مما امتد اليه حتى لان.

وقد اخبرنا دي ماركي بان دة اشخاص من مثل هذا الرجل قد قنعتهم سلامة نية الباشا المزوجة بالطمع الى محاولة هذه العملية. ومن هؤلاء اناس وقعوا في الشرك الذي كانوا قد نصبوه لفخامته، بينما نجح اخرون في غشه وابتزاز مبالغ غير يسيرة منه، فرثى لسلامة النية الموجودة عنده، بينما كان يستنكر الضعف المؤدي اليها، وكان من الواضح انه كان يعتقد بان ذلك المغامر الذي اسهبت في التحدث عنه لابد ان يظهر دجلة في النهاية ويكتشف احتياله كذلك.

مجلة بغداد في عددهما الرابع والخامس عشر من عام 1964

جسر بغداد القديم في العهد العثماني

جامع الاحمدي داخل سوق الميدان

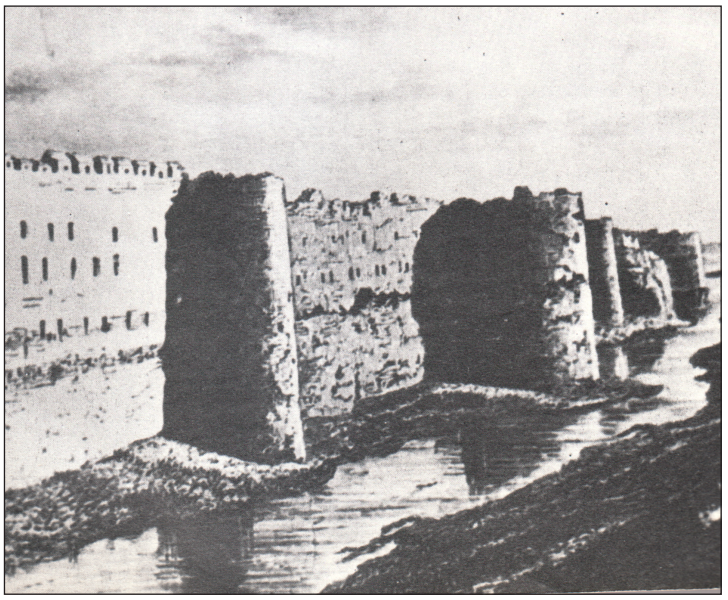
سور بغداد وخندقها

الوثائق البريطانية ومؤامرات قتل عبد الكريم قاسم

د. مؤيد الوندواوي ×

هذا الموضوع (استنادا للوثائق الرسمية البريطانية : الموقف البريطاني – الأمريكي من محاولات إسقاط الزعيم عبد الكريم قاسم (١٩٦٢ – ١٩٦٣) هو جزء من كتاب الدكتور مؤيد الوندواوي استاذ تاريخ العراقي السياسي المعاصر .. ووجدنا فيه الفائدة لقرائنا أن أعدنا نشره لأهميته التاريخية .

ينفرد الزعيم عبد الكريم قاسم بوصفه الشخصية السياسية الأكثر من غيرها من حكام العراق التي قد تعرضت لأكثر من محاولة اغتيال أو مخطط لأجل الإطاحة به والتخلص منه. ان مراجعة لسجل التاريخ السياسي المعاصر للعراق نجد ان هنالك شخصيات سياسية عديدة مثل بكر صدقي، نوري السعيد، الأمير عبد الإله، الملك فيصل الثاني، عبد السلام عارف، صدام حسين وغيرهم كانت قد تعرضت لمحاولات اغتيال أو جرت محاولات لأجل الإطاحة بهم سياسيا وإبعادهم عن السلطة.

مع ذلك يعد عبد الكريم قاسم الشخصية الأكثر التي تعرضت لمثل هذه المحاولات ومن قبل مجموعات مختلفة الأفكار والارتباطات (أهم المحاولات تلك التي حدثت في عام ١٩٥٩ بينما كان مارا في عجلته في شارع الرشيد وقد تخلص من القتل بأعجوبة) والتي في النهاية نجحت إحداها في ٨ شباط ١٩٦٣ والتي وضعت حدا لحياته بإعدامه رميا بالرصاص في ٩ شباط وهو جالس على كرسي احد عازفي الفرقة الموسيقية داخل أستوديو تلفزيون بغداد الكائن في محله الحالي في منطقة الصالحية.

يعد عام ١٩٦٢ العام الذي شهد العديد من المحاولات لأجل الإطاحة بقاسم ولدى مطالعتنا للوثائق الرسمية البريطانية المحفوظة في الأرشيف البريطاني فقد وجدنا سلسلة من المراسلات التي جرى تداولها خلال عام ١٩٦٢ بين السفارة البريطانية في بغداد وبين لندن وواشنطن حول المؤامرات التي يتم التخطيط لها لأجل الإطاحة بقاسم والجهات والأطراف التي تقف خلفها. عدد المراسلات مهم والاهم من ذلك ان هذه المراسلات كانت مناسبة لأجل ان تحدد كل من لندن وواشنطن المواقف من قاسم ومستقبل نظامه والأطراف التي يمكن أن يقدم لها الدعم. لم يثق الدبلوماسيون البريطانيون بما كان يقوله لهم المتآمرون وقد وصفوا هذه المؤامرات بأنها أضغاث أحلام ولكن في النهاية سقط قاسم وتم إعدامه بعد أشهر قليلة.

ليس من اختصاص هذه الدراسة ان تدخل بالتفاصيل السياسية والأحداث التي قادت هذه الجماعات باتجاه العمل لأجل الإطاحة بنظام قاسم وإنما ينصب جل الاهتمام نحو الكشف ولأول مرة عما كان يجري في الخفاء وكيف كانت تجري الأمور ولماذا العمل الدءوب للتخلص من قاسم، وأخيرا كيف كانت بريطانيا تنظر لقاسم وكيف كانت تحسب مصالحها في العراق. ولأجل ان نكشف صورة أخرى من صور تاريخ العراق السياسي المعاصر ومادة علمية مهمة بيد الباحثين والمتخصصين وجدنا من المفيد ان يتم تقديم هذه الوثائق. وأما الأسماء التي وردت في هذه الوثائق كان لا بد ان تعرض وكما وردت لأجل تحقيق الأمانة العلمية والتاريخية.

واجد ان من بقي من الأحياء أو بوسعه تقديم تفاصيل عن ما كان يتم التخطيط له في ذلك الوقت بوسعه ان يكتب إلينا أو ان ينشر ما لديه عبر المواقع الالكترونية.

يعد عام 1962 العام الذي شهد العديد من المحاولات لأجل الإطاحة بقاسم ولدى مطالعتنا للوثائق الرسمية البريطانية المحفوظة في الأرشيف البريطاني فقد وجدنا سلسلة من المراسلات التي جرى تداولها خلال عام 1962 بين السفارة البريطانية في بغداد وبين لندن وواشنطن حول المؤامرات التي يتم التخطيط لها لأجل الإطاحة بقاسم والجهات والأطراف التي تقف خلفها. عدد المراسلات مهم والاهم من ذلك ان هذه المراسلات كانت مناسبة لأجل ان تحدد كل من لندن وواشنطن المواقف من قاسم ومستقبل نظامه والأطراف التي يمكن أن يقدم لها الدعم.

الوثيقة الأولى:

السفارة البريطانية – بغداد
٢/تموز/١٩٦٢
٥٢٩/١٠١٥ EQ

إلى السيد جورج هيللر/القسم الشرقي/
وزارة الخارجية
عزيزي المحترم
مؤخرا سمعنا بوجود العديد من المؤامرات ضد قاسم وفيما يلي بعض التفاصيل بصددها:

المؤامرة رقم (١)

٢- بتاريخ ٨ حزيران حصل لقاء بين القائد السابق في كلية الطيران العراقية خلف الجنابي والملحق الجوي في سفارتنا. المذكور لم يعرف عنه سابقا انه من النوع الذي يقدم تفاصيل ذات خصوصية ولكنه هذه المرة كان متزنا وجدي. لقد ذكر بأنه ومنذ بضع شهور على علاقة مع مجموعة من الوطنين المتأمريين والذين طلبوا منه ألان إبلاغ السفير عن خطتهم وأهدافها العامة.

الهدف من هذا الإبلاغ هو أن تطلع مقدما حكومة صاحبة الجلالة على سياسية هذه المجموعة بعد ان تنفذ عملية الاغتيال ولكي يتم ضمان تحقق الاعتراف الرسمي والدبلوماسي بهم مع تقديم الدعم بعد أن يتحقق النجاح الأولي لعملهم. طبيعة المجموعة التي تحدث معها السيد خلف هم

مجموعة من الوطنيين من المناصرين للغرب وعلى الضد من البعثيين وأيضا على الضد من الشيوعيين. إنهم يهدفون إلى قتل قاسم عبر استخدام مدافع البازوكا والأسلحة الأوتوماتيكية والسيطرة على جميع المكاتب الحكومية باستخدام القوات المسلحة ابتدأ. العناصر الشيوعية في القوات المسلحة وفي الحكومة سيتم قتلهم والوطنيون من العراقيين هم من سيتم مفاتحتهم لأجل تأليف حكومة جديدة. (لم تتم مفاتحة أي أحد حتى ألان وذلك بسبب من الدواعي الأمنية). السفارات التابعة للمعسكر السوفيتي وكذلك الملحقيات التابعة لها سيتم إغلاقها، ولأجل إبراز النوايا الحسنة وبناء الثقة سيتم إقامة العلاقات الدبلوماسية مع الكويت. وبعد إقامة الحكومة الجديدة سيتم دعوة كل بريطانيا والولايات المتحدة لأجل تقديم المساعدة العسكرية وبالتالي فان الشحنات العسكرية الحالية للعراق يمكن التخلص منها وإيداعها إلى السكراب.

٣- هذه الجماعة سوف تعقد لقاء بحدود ١٥ حزيران لأجل ترتيب التفاصيل النهائية وإننا سوف نبلغ وقبل سبعة أيام من موعد تنفيذ الانقلاب. لن يتم تقديم أي أسماء لنا قبل هذا التاريخ للدواعي الأمنية وان هذه المجموعة تتألف من ١٢٠ شخص العديد منهم من المعروفين بوصفهم شخصيات محترمة على مستوى القوات المسلحة.

المؤامرة رقم (٢)

٤- في ذات اليوم المشار إليه أعلاه ٨ حزيران تم الاتصال بي من قبل مجموعة عراقية ممن اعرفهم منذ وقت. أنهم كل من الدكتور غازي البيرماني وعبد المجيد البيرماني وغني علي ومحسن علي. أصحاب الاسمين الاولين هم من تحدث كل الحديث. ومن الأسماء التي تم الكشف عنها هي العقيد عباس البيرماني قائد معسكر الوشاش والمقدم السابق محسن محمد علي الملحق العسكري السابق في القاهرة والمدير العام السابق للإعلام.

٥- لقد أعلموني انهم بوضع بوسعهم من خلاله إثارة العشائر فورا في مناطق الديوانية وكربلاء والناصرية باستخدام اسم الهاشميين. وتبعا لهذا سوف يقومون من جانبهم بتقديم الدعم باستخدام القوات المسلحة التي هنالك حوالي ١٥٠٠٠ من أفرادها تحت سيطرتهم والتي بالوسع ان تتقدم نحو بغداد. أنهم سوف يعملون على قصف مقر وزارة الدفاع ولكن ليس باستخدام الطائرات العراقية (لكونهم يرون ان القوة الجوية العراقية لا يمكن الاعتماد عليها) ولكنهم سيستخدمون الطائرات العسكرية الأردنية ومن خلال ذلك يمكن شل عصب قاسم ولربما قتله. لديهم أيضا عشرة رجال مخولين للتأكد من تحقق مقتله.

٦- لقد ذكروا انهم يريدون المساعدة البريطانية بمفاتحة عمان وعلى وجه التحديد الأمير ناصر بوصفه احد أفراد العائلة المالكة وبوصفه احد القادة في القوات الجوية الأردنية ولأجل دعم المؤامرة. أيضا انهما يريدان المساعدة البريطانية في وضع التفاصيل ذات الصلة والمؤامرة. من جانبي وبشكل مقصود تعمدت عدم التحدث في خططهم والتفاصيل لكوني لم أكن ارغب ان أكون طرفا متورطا في هكذا أمر ومن ثم أصبح مرجعا عندما لا تكون هنالك سوى فرص ضعيفة أمام حكومة صاحب الجلالة في تقديم أي دعم حقيقي. من طرفي أعلمتهم موافقتي بأنني سوف اكتب ما تم إعلامي به من قبلهم وان بالوسع ان نلتقي مرة أخرى يوم ٥ حزيران.

المؤامرة رقم (٣)

٧- مؤخرا ابلغ الأمريكان عن مؤامرة أخرى ضد قاسم يعدها مجموعة مناصرة للهاشميين على صلة مع الملحق العسكري الأردني هنا. (على وجه المصادفة علمنا من خلال الملحق العسكري الأردني بأنه قد علم بان العقيد البيرماني (مؤامرة رقم ٢ اعلاه) يحاول ان يكون على اتصال معه أيضا. هو غير مطلع بعد عن أسباب هذه المحاولة بالاتصال معه. المؤامرة التي تم الإعلام بها من قبل الأمريكيين يبدو انها تختلف عن تلك التي يعمل عليها البيرماني. الضباط الذين يشكلون هذه المجموعة هم:

- الزعيم خليل سعيد/ قائد الفرقة الأولى.
- الزعيم عبد الجبار سعيد / قائد الفرقة الرابعة.
- الزعيم ثابت نعمان/ كتيبة ٢٦ مدفعية.
- المقدم سليمان حر / قائد كتيبة ٢٦ مدفعية ميدان.
- الزعيم المتقاعد حمدي إبراهيم.
- العقيد حسين علوان العزاوي / امر لواء صلاح الدين.
- اللواء المتقاعد عمر علي (من مناصري الملكية وحاليا مقيم في المملكة المتحدة وصديق مقرب من الداغستاني)

٨- الزعيم خليل سعيد سبق وان تم ذكره في تقارير بأنه من المتآمرين سابقا ومثلما الحال مع الزعيم عبد الجبار سعيد ولكن كليهما ليس من أصحاب الشخصيات القوية. على قدر علمنا ولحد ألان ان الهدف الرئيس لهذه المجموعة والتوقيتات خاصتهم غير معروفة للأمريكان بعد.

المؤامرة رقم (٤)

بتاريخ ٣٠ حزيران اتصل بي محمد جواد جعفر ليعلمني انه على اتصال مع مجموعة متآمرة وهي تضم الشيخ خوام العبد العباس من شيوخ الديوانية ومعه أشخاص آخرون من عناصر النظام السابق. أنهم لا يطلبون أي مساعدة من الخارج كما ان جعفر لم يتطوع ليقدم المزيد من التفاصيل حول كيف سيقومون بتنفيذ الانقلاب. الخطة العامة هي قتل قاسم والمقربين إليه ممن يساندونه والقادة الشيوعيين مثل جلال الاوقاتي وطه الشيخ احمد وعبد الفتاح إبراهيم. بعد ان يتحقق النجاح لهم سيتم دعوة حكمت سليمان ليكون قائدا للحركة (برغم كونه كبيرا في السن وانتهاء وقته ولكنه لا يزال معروفا ومحترما جدا في العراق). سيقومون بتأسيس حكومة مؤقتة من ٦ – ٧ وزراء بهدف ان يتم وبعد مضي ستة أشهر اتخاذ قرار فيما يمكن ان يكون الهاشميين أو شخص اخر ممكن ان يطلب منه ليكون راس الدولة في العراق. كإجراء احترازي وفي حالة ان سارت الأمور بطريق مختلف في بغداد واندلع القتال في الشوارع بين الشيوعيين والبعثيين والوطنيين عندها هم مستعدون لإعلان إقامة حكومة انتقالية في الديوانية بدلا من بغداد. ولكونه ليس هنالك محطة راديو في منطقة الديوانية فأنهم سوف يعملون للحصول على تعاون معهم من خلال الإذاعة الكويتية. لقد طلب ان يلتقي السفير قريبا لأجل ان يقدم له المزيد من التفاصيل.

١٠- معظم المؤامرات أعلاه وباستثناء الرقم (١) منها يبدو أنها أضغاث أحلام. وبناء على تعليمات السفير علينا ان نردد ذات الكليشة لكل هؤلاء المتآمرين ممن يتصل بنا بالقول لهم بأننا وبوصفنا كسفارة ليس لنا أي صلة بمثل هكذا مؤامرات ومع ذلك وفيما اذا نتج عنها تغير النظام فان حكومة صاحبة الجلالة من دون شك سوف تدرس مواقف أي نظام سياسي جديد يصل وعندها تقرر طريقة التعامل معه.

توقيع/ R. W. Munro

الوثيقة الثانية

الخبراء البريطانيون وحالما طرح موضوع المؤامرات التي كانت تحاك لأجل إسقاط قاسم فقد تقدموا بعرض ما لديهم من تصورات عن العسكريين العراقيين ممن قد يطيحون بقاسم أو ممن يمكن أن يخلفه منهم. في تقرير كتبته المخابرات البريطانية (MI٤) وجاء برقم ٢٠٢٨ بتاريخ ١٨ تموز ١٩٦٢ تضمن تقييم للشخصيات العسكرية العراقية واتجاهاتها السياسية.

فيما يلي نص التقرير

(MI٤) (b) ٢٠٢٨

١٨ تموز ١٩٦٢

الشخصيات العسكرية العراقية

عزيزي السيد فرانك

١-إشارة إلى المحادثة الهاتفية في ١٦ تموز ١٩٦٢

لربما أنت ألان قد اطلعت على الورقة العنونة باسم (الوريث المحتمل لقاسم) والتي تناولت المعضلة بشيء من التفصيل.

فيما يلي قائمة بأسماء الضباط وما نعتقده من انتمائهم السياسي:

٢- (أ) المناصرون للهاشميين

- الفريق المتقاعد عمر علي
- الوزير السابق خليل كنه (ذي شعبية ومقتدر ولربما مدعوم إيرانيا).
- الشيخ فامر فيصل الياور (وردت التسمية هكذا Famir) من عشيرة شمر.
- الوزير السابق جميل عبد الوهاب (حاليا في بيروت).
- الفريق المتقاعد الداغستاني
- الزعيم المتقاعد كاظم عبادي (القائد السابق لسلاح الجو العراقي).
- الزعيم خليل سعيد عبد الرحمن (قائد الفرقة الثانية).
- الزعيم عبد الجبار سعيد (قائد الفرقة المدرعة الرابعة).
- الزعيم عبد الكريم محمد (قائد الفرقة الثالثة).
- العقيد حسين علوان العزاوي.
- (ب) وطنيون عراقيون :
- الفريق الركن نجيب الربيعي
- الزعيم احمد صالح العبدي
- الفريق المتقاعد الداغستاني
- الزعيم المتقاعد شاكر محمود شكري
- الزعيم مزهر اسماعيل الشاوي
- العقيد سعدون حسين عبد الله
- العقيد عارف يحيى الحافظ
- العقيد عبد الكريم الشلال
- العقيد خالد مكي الهاشمي
- الزعيم عبد القادر فايق
- (ت) البعثيون (وهم في النهاية من المناصرين للرئيس جمال عبد الناصر)
- العقيد عبد السلام عارف
- الزعيم شاكر محمود شكري
- الزعيم المتقاعد العقيلي
- الزعيم المتقاعد مدحت الحاج سري
- الزعيم ناجي طالب
- العقيد إبراهيم جاسم التكريتي

عدد من الضباط من ألوان مختلفة موزعون في الجيش

- (ث) الشيوعيون
- زعيم الجو جلال الاوقاتي
- الزعيم طه الشيخ احمد
- الزعيم فريد محمود
- الزعيم حسن عبود إبراهيم
- الزعيم المتقاعد حسن عبد الجبار (المعروف باسم كاسترو)

٣- من بين المذكورين أعلاه نحن نؤمن بوجود العديد من الوطنيين ممن هم مستعدون لدعم انقلاب هاشمي ناجح وأي انقلاب أخر مماثل له. عدد من البعثيين أيضا مستعدون لدعم أي انقلاب وطني يقع.

توقع/ E.F.G. Maynard

القسم الشرقي/ وزارة الخارجية

وتعقيبا على هذه الرسالة فقد كتب Maynard ملاحظاته وقد جاءت كما يلي:

المرفق يعد ورقة نافعة مقدمة من المخابرات (M١٤) حول المؤامرة في العراق والتي من طرفي أنا اتفق مع كل ما ورد فيها. التعليقات المفصلة عنها كما يلي:

المقطع (٤ أ) / الهاشميون ليس لديهم شعبية واسعة في العراق بسبب ارتباطهم بفكرة الهيمنة البريطانية. مع ذلك ليس بالوسع الإنكار بان عدد كبير من الجماعات المتآمرة حاليا لديها ميل نحو الهاشميين. جانب من هذا الميل لربما مرده حاجة المتآمرين لان يرون إسنادا خارجيا وهو دعم قد يشعر هؤلاء بأنه مع ارتباط غير محكم مع الأردن ولربما من خلالهم يحصلون على الدعم البريطاني. مع ذلك ولأجل تأسيس ارتباط مع الأردن من قبل أي حكومة قد تصل عبر انقلاب لربما تعني حصول مخاصمات مهمة بين الوطنيين العراقيين والبعثيين وطبعا الشيوعيين. مثل هكذا حكومة غير قابلة لان تستمر.

المقطع (٥ أ) / لربما ذي نفع بينما يدعى حاليا بان الوطنيين يمكن أن يعدون هم الغالبية من العراقيين. الجماعات السياسية لهذه الفئة غير فاعلة وينقصها التنظيم. ولكن الضباط من ذوي المشاعر الوطنية بوسعهم لربما السيطرة على أي حكومة جديدة قد تتشكل بعد الانقلاب.

المقطع (٦ أ) / البعثيون واسمهم الكامل هو حزب البعث الاشتراكي. البعثيون العراقيين انما هم عبارة عن جناح سياسي حالهم حال غيرهم. وبما انهم لم يسبق لهم ان تولوا السلطة فان الأفكار السياسية للبعثيين العراقيين يمكن ان تكون مشوشة ومصحوبة بالعنف. وعلى الرغم ان حركة البعث هي صغيرة مقارنة بالآخرين ولكنها الأكثر عنفا بين الجماعات المتآمرة العراقية الأخرى وان تآمرهم هو دوما الأكثر خطورة. المتآمرون البعثيون على علاقة مع الجمهورية العربية المتحدة.

موقع/ E. F. G. Maynard
٢٤ تموز ١٩٦٢

صورة نادرة تجمع ام كلثوم مع الوصي عبد الاله ونوري السعيد في بغداد

عندما زارت أم كلثوم بغداد

مهدي حمودي الانصاري

بجهود مضنية من السيد أحمد جلال والتي تكللت بالنجاح قررت المطربة أم كلثوم المجيء إلى العراق في سنة ١٩٣٢ حيث أعلنت إدارة فندق الهلال في بغداد أن أم كلثوم ستصل إلى بغداد يوم ١٩٣٢/١٠/٢٧ لتقدم أولى حفلاتها في الليلة التالية من وصولها. وقد وصلت فعلا أم كلثوم يوم ١٩٣٢/١١/١٦ وهبطت طائرتها في مطار بغداد خلال عاصفة ترابية وقد شوهدت أم كلثوم وهي خائفة وكان يرافقها في الرحلة أخوها الشيخ خالد إبراهيم والفرقة الموسيقية.

وقد بيعت البطاقات في حينها في فندق الهلال بأسعار تتراوح من ٥٠٠ فلس نزولا حتى ٢٥٠ فلساً، وقد خصص محل للسيدات، وحضر إحدى حفلاتها وهي الحفلة الثالثة رئيس الوزراء آنذاك السيد ناجي شوكت. وقد ألقى الشاعر معروف الرصافي قصيدة مطلعها:

أم كلثوم في فنون الأغاني
أمة وحدها بهذا الزمان

في مأدبة شاي أقامها فريق من الأدباء ترحيباً بالمطربة العربية أم كلثوم.

نشرت أم كلثوم في الجرائد البغدادية عن لسانها: أي شكر أستطيع أن أسديه إلى أهل العراق الكرام الذين حبوني بفضل تعددت نواحيه وطوقوا جيدي بقلائد المنن والتكريم بكل مظاهره ومعانيه حتى أصبحت عاجزة عن حمل تلك الأيادي التي توالت دوما إذ كان أهلها في استقبالي كراما، وكانوا ورثة أمة ملكت أكثر من نصف العالم وازدهرت مدنيتها وامتد سلطانها وقدروا معالم الفن الجميل، وكانوا أخيرا المثل الأعلى في الإقبال على الحفلات التي أحييتها تشجيعاً للفن والموسيقى، وهو ذلك الفن الذي يسرني، بل أتشرف بالانتساب إليه، وما حفلات التكريم الذي تفضل بها حضرات الأدباء والشعراء من رجال وسيدات بإقامتها لي إلا فضل ترك في نفسي أثرا على كر الأيام باقيا وذكرا على مرّ الأعوام متواليا، ومن أجل هذا أراني غير قادرة على إيفائكم أيّها الأخوان الأكرمون حقكم من الثناء، وإنّي سأعود إلى بلادي فخورة بما لقيت حافظة للعراق وأهله أجمل الذكرى وأطيب الأثر.

ومما يذكر أنّ أم كلثوم مكثت في العراق مدة ثلاثة وثلاثين يوما. وقد اصطف الشعراء وفي مقدمتهم معروف الرصافي، وقال في تحيتها:

اسمحي قبل الرحيل كلاما
ودعيني اموت فيك هياما
هاك صبري خذيه تذكرة لي
وامنحي جسمي الضنى والسقاما

ومن الشعراء الذين قالوا ورحبوا بمقدمها، جميل صدقي الزهاوي، وعبد الكريم العلاف، محمد باقرالشبيبي، وعبد الرحمن البناء، ومصطفى جواد، وكمال نصرت ومحمد حسن الحداد وآخرون.

وفي بغداد اطلق على السيدة ام كلثوم الشعراء القاباً واسماءً جميلة تليق بهذه الفنانة

×قمرية الدوح
×عبقرية الغناء
×الغادة
×البلبلة

ويذكر البغاددة ان ام كلثوم غنت في اوتيل الهلال بـ(رصافة بغداد) مجموعة من اغانيها القديمة الرائعة الطروبة التي تخلب الالباب ابداً

×لي لذة في ذلتي وخضوعي
×مالي فتنت
×امانا ايها القمر المطل
×اكذب نفسي
×افديه ان حفظ الهوى
×الصب تفضحة عيونه
×اراك عصي الدمع
×ايها الرائح المجد
×قولي لطيفك ينثني
×غيري على السلوان قادر
×عيني فيها الدموع

ذاكرة عراقية
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي : يونس الخطيب